الصبر كما صورته سورة يوسف -عليه السلام-

(دراسة موضوعية)

إعداد

د/ نور الإسلام عبد الوهاب عبد العزيز سالم

مدرس التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بدمنهور، جامعة الأزهر، مصر

الصبر كما صورته سورة يوسف-عليه السلام- (دراسة موضوعية)

نور الإسلام عبد الوهاب عبد العزيز سالم
مدرس التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمنهور، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني: NourSalem.2072@azhar.edu.eg

الملخص :

الصبر كما صورته سورة يوسف-عليه السلام-(دراسة موضوعية)

تناولت في هذا البحث الحديث عن الصبر كما صورته سورة يوسف-عليه السلام- ، وقد بينت فيه مفهوم الصبر لغة واصطلاحًا، ثم تعرضت لبيان أحوال الصابرين في هذه السورة الكريمة وما صبروا عليه، وما كان من حسن عاقبة صبرهم، وكذلك عرضت مشاهد لغير الصابرين في هذه السورة، وما آل إليه أمرهم من سوء العاقبة.

كما تطرقت إلى ذكر الأمور التي أعانت هؤلاء الصابرين على التزام الصبر في ضوء السورة الكريمة، وكذلك الأمور التي كانت لا شك ستعين غير الصابرين على الصبر عما وقعوا فيه من فتن وآثام لو كانوا قد التفتوا إليها.

وألقيت الضوء على بعض الأمور المعينة على الصبر، وكذلك بعض المشاعر الإنسانية التي لا تنافي الاتصاف بخلق الصبر، كما استخرجت بعض الدروس والعبر المستفادة من خلال الحديث عما يدور حول كل عنصر من عناصر البحث، ثم ذكرت في خاتمة البحث ما توصلت إليه من نتائج، والتي كان من أهمها: أن عاقبة الصبر الجميل جميلة في الدنيا والآخرة، قال-تعالى-: "﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾" [يوسف:٩٠].

الكلمات المفتاحية: سورة يوسف، صبر يعقوب عليه السلام، صبر يوسف عليه السلام، إخوة يوسف، فتنة امرأة العزيز.

Patience as portrayed by Surat Yusuf - peace be upon him - (objective study)

nur al'iislam Abdel Wahhab Abdel Aziz Salem
Teacher of interpretation and Quranic sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies in Damanhour, Al-Azhar University, Egypt.
Email: NourSalem.2072@azhar.edu.eg

Abstract :
In this research, I dealt with the hadith about patience as depicted in Surat Yusuf-ט-, in which I clarified the concept of patience linguistically and idiomatically, and then dealt with an explanation of the conditions of the patient in this noble Surah and what they were patient with, and what was the good outcome of their patience, as well as scenes of the non-patient in this chapter. Surah, and the bad outcome of their affair.
I also touched on mentioning the things that helped those who are patient to adhere to patience in the light of the noble Surah, as well as the things that would undoubtedly help the non-patients to be patient with what they fell into of temptations and sins if they had paid attention to them.
And I shed light on some of the specific matters on patience, as well as some human feelings that are not It contradicts the characterization of the creation of patience, and I also extracted some lessons and lessons learned by talking about what is going on about each element of the research, then I mentioned in the conclusion of the research the results I had reached, the most important of which was: that the outcome of beautiful patience is beautiful in this world and the Hereafter, he said- The Almighty -:
﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ {Yusuf: 90}.

keywords: Surah Yusuf , The Patience Of Jacob , The Patience Of Joseph , The Brothers Of Joseph , The Trial Of The Dear Wife.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، خاتم النبيين، وإمام الموحدين، وسيد الصابرين، أثنى عليه الله –عز وجل– في عليائه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

والصلاة والسلام على آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

فإن الصبر خلق عظيم حث عليه الإسلام ورغب فيه، بل جعله من شيم الأنبياء والصالحين، ولعظم فضل هذا الخلق الكريم ومكانته الجليلة، فقد منح الله–تعالى– شرف محبته لهؤلاء المتصفين بهذا الخلق العظيم، قال–تعالى–: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران:١٤٦].

ولأن الصبر ليس بالأمر الهين، بل يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها حتى تتعود عليه؛ لذلك فإن الله–تعالى– وعد الصابرين بالأجر الوفير، قال–تعالى–: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠].

والمتأمل في قصص الصابرين في القرآن الكريم يجد أنهم جُبروا، وأصلح الله –تعالى– أحوالهم، وفرج كرباتهم، واستجاب دعواتهم، فكانت العاقبة الحسنة هي جزاؤهم ومآلهم مقابل ما صبروا عليه.

ولذلك وجدت أنه من الأهمية بمكان معاينة أحوال الصابرين وغير الصابرين في القرآن الكريم؛ لمعايشة هذا الخلق الفضيل، ومعرفة ما يعين عليه، وما آل إليه أمر كل فريق منهما.

فمالت نفسي إلى سورة يوسف–عليه السلام– حيث وجدت فيها ضالتي، فهي من أحسن القصص في القرآن الكريم، وتأملتها فرأيتها كأنها جُعلت للصبر عنوانًا، حيث أفصحت عن قيمة الصبر وفضله، وكيف أنه كان المحرك الأول والركيزة الأساسية التي تمحورت عليها أحداث السورة الكريمة، حيث صورت حال من صبر، وحال من لم يصبر، كما صورت عاقبة كل منهما.

ومن ثم؛ جاء عنوان بحثي: **الصبر كما صورته سورة يوسف**–عليه السلام– **(دراسة موضوعية)**.

والله–تعالى– أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به والمسلمين، ويتقبله –ﷻ– مني بقبول حسن، ويدخره لي عنده ليوم لاينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه نعم المولى ونعم النصير، "﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾" [هود:٨٨] .

أولًا: أسباب اختياري للبحث:

١– عظم مكانة الصبر وأهميته في ديننا الحنيف.

٢– الرغبة في معايشة هذا الخلق العظيم من خلال أحداث قصة واقعية حقيقية .

٣– التعرف على حسن عاقبة الصابرين، وسوء عاقبة غير الصابرين من خلال معاينة أحوالهم، ومعايشة ظروفهم كما صورتها سورة يوسف.

٤– ترويض النفس على التخلق بخلق الصبر في جميع أمور الحياة، ومعرفة ما يعين على ذلك.

ثانيًا: خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

أما المقدمة، فتشتمل على: أسباب اختياري للموضوع، وخطة البحث، ومنهجه.

وأما التمهيد، فيشتمل على:

أولًا: تعريف الصبر. **ثانيًا:** ألفاظ ذات الصلة به.

ثالثًا: ألفاظ مضادة له. **رابعًا:** التعريف بسورة يوسف–عليه السلام–.

وأما المبحث الأول: وعنوانه: [صور الصبر، وحسن عاقبته كما صورته سورة يوسف–عليه السلام–]، فيشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: صبر يعقوب–عليه السلام–.

المطلب الثاني: صبر يوسف–عليه السلام–.

المطلب الثالث: حسن عاقبة صبر يعقوب–عليه السلام–.

المطلب الرابع: حسن عاقبة صبر يوسف–عليه السلام–.

المبحث الثاني: وعنوانه: [مشاهد لغير الصابرين، وسوء عاقبتهم، كما صورتها سورة يوسف–عليه السلام–] ، فيتضمن مطلبين:

المطلب الأول: مشاهد لغير الصابرين في ضوء سورة يوسف–عليه السلام–.

المطلب الثاني: سوء عاقبة غير الصابرين من خلال سورة يوسف–عليه السلام.

المبحث الثالث: وعنوانه:[الأمور المعينة على الصبر، والمصاحبة له كما صورتها سورة يوسف–عليه السلام–]، ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: الأمور المعينة على الصبر

المطلب الثاني: أمور مصاحبة للصبر.

ثالثًا: منهج البحث:

سلكت منهج الاستقراء والتحليل والاستنباط، من خلال تتبع أحداث القصة في سورة يوسف، والتأمل في معانيها، واستنباط كل ما يدور حول خلق الصبر في ضوء ما صورته سورة يوسف–عليه السلام–.

واتبعت الخطوات التالية:

١- كتبت الآيات القرآنية برسم المصحف الشريف، وأعزوها إلى سورها فى متن البحث؛ تخفيفًا على الحاشية.

٢- خرجت الأحاديث النبوية تخريجًا علميًّا.

٣- وضَّحت الكلمات الغريبة، والمصطلحات الغامضة.

٤- ضبطت بالشكل الألفاظ التي قد يُلْتبَس نُطقها وقراءتها.

٥- وثقت النصوص التى نقلتها توثيقا عمليًا دقيقًا من مصادرها الأصيلة.

٦- اكتفيت بذكر أسماء المصادر والمراجع وأسماء مؤلفيها في صلب البحث، مع الاكتفاء بذكر معلوماتها في فهرس المصادر والمراجع؛ تخفيفًا على الحاشية.

٧- ذيَّلت البحث بفهرس المصادر والمراجع العلمية.

***

التمهيد:

أولًا: تعريف الصبر:

١- الصبر لغة:

"أصلُ الصَّبر: الحَبْس، وكلُّ من حَبَس شَيْئا فقد صبَره ، ويقال: فلانٌ صُبِرَ، أو فلان قُتِل صبرًا: إذا أُمسك وحُبِس للقتل، قال- تعالى-: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الكهف:٢٨] ، أَى: احبس نفسك معهم"(١).

وقال الراغب الأصفهاني:" والصَّبْرُ: الإمساك في ضيق، يقال: صَبَرْتُ الدّابّة: حبستها بلا علف"(٢).

٢- الصبر اصطلاحًا:

للصبر عند العلماء عدة تعريفات، منها:

- "أنه حبس النفس عن الجزع والسخط، وحبس اللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الثياب، ويقال: صبر يصبر صبرًا، وصبر نفسه، وقال- تعالى-: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف:٢٨]"(٣).
- "وقيل: إنه حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه"(٤).
- "وقيل: هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغني مع حلول الفقر بساحات المعيشة"(٥).

---

(١) **ينظر مادة:(صبر) في كل من:** تهذيب اللغة للأزهري (١٢/ ١٢١)، مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٥٤٩)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٢/ ٧٠٦).

(٢) المفردات في غريب القرآن-مادة:(صبر) (ص: ٤٧٤).

(٣) **ينظر**: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (ص: ١٥)، بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٣/ ٣٧١).

(٤) **ينظر**: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني-مادة:(صبر) (ص: ٤٧٤).

(٥) نُسب هذا القول إلى ذي النون المصري: **ينظر**: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (ص: ١٦).

- "وقيل: الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله-تعالى- لا إلى الله؛ لأن الله- تعالى- أثنى على أيوب-عليه السلام- بالصبر بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص:٤٤] ، مع دعائه في رفع الضر عنه بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء:٨٣]، فعلمنا أن العبد إذا دعا الله-تعالى- في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره" (١).

من هنا يظهر أنها تعريفات متقاربة المعنى، يدور فلكها حول:

حبس النفس عن الجزع عند وقوع البلية، وكذلك حبسها على مراد الشرع ومقتضاه، وأيضًا منعها عن الوقوع فيما يخالف الشرع.

وهذا يُنتِج لنا ثلاثة صور من الصبر:

١- صبر على أقدار الله-تعالى-.

٢- صبر على الطاعات.

٣- وصبر عن المعاصي- المخالفات الشرعية-.

ثانيًا: ألفاظ ذات الصلة به:

الحلم:

- **وهو لغة:** "الأَناة، والتثبُّت فِي الأُمور، وهو ضد الطيش والسفه"(٢).

واصطلاحًا: "هو الطمأنينة عند سَوْرة الغضب"(٣).

الصلة بين الحلم والصبر: أَن الْحلم هو:" الإمهال بتأخير العقاب الْمُسْتَحق، ولا يصح الحلم إلا ممن يقدر على العقوبة، أما الصبر فهو: حبس النفس عن إظهار الجزع" (٤).

(١) **ينظر:** التعريفات للجرجاني (ص: ١٣١).

(٢) **ينظر مادة:(حلم) في:** العين للخليل بن أحمد (٣/ ٢٤٦)، جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ٥٦٥)، لسان العرب لابن منظور(١٢/ ١٤٦).

(٣) **ينظر:** التعريفات للجرجاني (ص: ٩٢).

(٤) **ينظر:** الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص: ٢٠٠).

ثالثًا: ألفاظ مضادة له:

- **السخط:**

وهو لغة: "الكراهية للشيء، وعدم الرضا به"(١).

واصطلاحًا: "الغضب الشديد المقتضي للعقوبة"(٢).

- **الجزع:**

وهو لغة: "نقيض الصبر، وأصل الجزع: القطع، يقال: جزعت الوادي: إذا قطعته عرضًا"(٣).

واصطلاحًا:"هو إِظْهَار مَا يلْحق الْمُصَاب من المضض وَالْغَم، أو هو حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه"(٤).

- **الهلع:**

وهو لغة:" أشد الحرص، وأفحشُ الجزعِ، وقد هَلِعَ بالكسر، فهو هَلِعٌ وهَلوعٌ "(٥).

واصطلاحًا:" قلة إمساك النفس عند اعتراء ما يُحْزِنُهَا أَوْ مَا يَسُرُّهَا أَوْ عِنْدَ تَوَقُّعِ ذلك والإشفاق منه"(٦)، **قال –تعالى-:** "﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾" [المعارج].

- **العجلة أو(التعجل والتسرع):**

والعجلة لغة:" السرعة، يقال: عَجِل، وتَعَجَّل، واسْتَعْجل الرجل: حثَّه، وَأمره أَن يُعَجِّل فِي الْأَمر، ويقال: مرَّ يستعجل: أَي مَرَّ طَالبا ذَلِك من نَفسه، متكلفا إيَّاه، والعاجِل: نقيض الآجِل فِي كل شَيْء" (٧).

---

(١) **ينظر**: لسان العرب لابن منظور– (سخط) (٧/ ٣١٣).

(٢) **ينظر**: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني –مادة:(سخط) (ص: ٤٠٢).

(٣) **ينظر**: الصحاح تاج اللغة للجوهري–مادة:(جزع) (٣/ ١١٩٥).

(٤) **ينظر**: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص: ٢٠١)، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني–مادة:(جزع) (ص: ١٩٤).

(٥) **ينظر** مادة:(هلع) في: العين للخليل بن أحمد (١/ ١٠٧)، الصحاح تاج اللغة للجوهري (٣/ ١٣٠٨).

(٦) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩/ ١٦٧).

(٧) **ينظر**: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (١/ ٣٢٢).

واصطلاحًا:" طلب الشيء وتحرّيه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشّهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامّة القرآن، قال-تعالى-:﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل:١]، وقال-تعالى-: ﴿لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ "[النمل:٤٦](١).

من خلال النظر في الألفاظ المضادة للصبر نجدها جميعًا متقاربة المعنى فالجزع والسخط والتسرع والعجلة والهلع كلها ألفاظ تدل على عدم الصبر، وتنافي إمساك النفس عن كل ما لا يليق بالمسلم عند وقوع البلايا والمصائب والفتن، وغير ذلك من الأمور التي من شأنها أن تقتضي التخلق بخلق الصبر.

رابعًا: التعريف بسورة يوسف-عليه السلام-:

وجه تسميتها:

"اشتمالها على قصة يوسف- عليه السلام- مع إخوته، ومع امرأة العزيز، ومع ملك مصر في ذلك الوقت " (٢).

عدد آياتها:

"مائة وإحدى عشرة آية ليس فيها اختلاف" (٣).

القول بمكيتها أو مدنيتها:

مكية كلها على المعتمد(٤).

ترتيبها:

ترتيبها النزولي:" هي السورة الثالثة والخمسون، وكان نزولها بعد سورة هود- عليه السلام-".

ترتيبها المصحفي: "هي السورة الثانية عشرة بعد سورة هود- عليه السلام-، وقبل سورة الرعد"(٥).

---

(١) **ينظر**: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني(ص: ٥٤٨)، بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٤/ ٢٣).

(٢) **ينظر**: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٢٩٩).

(٣) **ينظر**: البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني (ص: ١٦٧).

(٤) **ينظر**: روح المعاني للألوسي (٦/ ٣٦٢).

(٥) **ينظر**: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٢٩٩).

ومن أهم أهدافها وأغراضها ومقاصدها:

١- عرض وقائع قصة يوسف- عليه السلام- مع إخوته، وما تعرض له من الفتن والابتلاءات في حياته، وما كان في ذلك من العبر والعظات.

٢- أن تعبير الرؤيا علم يرزقه الله-تعالى ويهبه من يشاء من عباده الصالحين.

٣- وقوع الحسد بين الأقارب أحيانًا.

٤- معايشة الابتلاءات والكربات بالصبر الجميل.

٥- لطف الله-عز وجل- بعباده الصابرين والمتقين والمحسنين.

٦- العبرة بعواقب الأمور وخواتيمها.

٧- تسلية قلب النبي-ﷺ-بقصة يعقوب ويوسف- عليهما السلام- وما لقياه من الهم والأذى، وما تحليا به من الصبر الجميل.

٨- الحث على شكر الله- تعالى- على إنعامه وفضله.

٩- الإشارة إلى أنّ سورة يوسف-عليه السلام- وما فيها من القصص عِبْرة وتذكرة للعالمين، قال-تعالى-: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١] (١).

(١) **ينظر**: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (١/ ٢٥٥)، التحرير والتنوير لابن عاشور(١٢/ ١٩٨).

المبحث الأول: صور الصبر، وحسن عاقبته في ضوء سورة يوسف-عليه السلام-، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: صبر يعقوب-عليه السلام-:

من خلال التأمل في سورة يوسف-عليه السلام- نجد أن يعقوب-عليه السلام- كان مثالًا يحتذى به في الصبر، فقد صبر على أمور كثيرة، منها:

أولًا: صبر يعقوب-عليه السلام-على فقدان ابنه المحبب إلى قلبه يوسف-عليه السلام-:

إن فقد الابن من الأمور الشاقة التي يصعب على النفس البشرية أن تطيقها، خاصة إذا كان هذا الابن محببًا إلى قلب والديه، لا سيما في مرحلة الطفولة؛ لما فيها من البراءة واللطف وشدة تعلق الصغير بالوالدين وارتباطه بهما في كل أموره، ويزداد الحب من قِبل الوالدين إذا رأيا في ولدهما علامات نبوغ، وإشارات تبشر بعلو شأن هذا الابن في المستقبل.

هكذا كان حال يوسف-عليه السلام- الذي نشأ في كنف ورعاية أبيه يعقوب-عليه السلام- فأحبه حبًّا كبيرا ملأ قلبه، حتى بات هذا الحب جليًّا أمام بقية أبنائه، فاغتاظوا لذلك وحسدوه رغم صغر سنه واحتياجه لرعاية أبيه وعنايته به في مثل هذا السن.

وقد ذكر الألوسي أنه يُروى: " أن يوسف-عليه السلام- كان أحب إلى أبيه- يعقوب عليه السلام- لما رآه فيه من المناقب الحميدة، فلما رأى الرؤيا تضاعفت له المحبة" (١).

وقد مر يعقوب-عليه السلام- في الفقد بمرحلتين:

المرحلة الأولى:(خوفه من الفقد قبل حدوثه):

لقد صورت سورة يوسف-عليه السلام- ما دار بين إخوة يوسف من سوء المكر والتدبير والكيد بأخيهم، وما انطوت عليه نفوسهم من الحسد والغيظ تجاهه، وما أجمعوا عليه أمرهم من التخلص منه للأبد، قال -تعالى-:

"﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ

(١) **ينظر**: روح المعاني (٦/ ٣٨٢).

وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾" .

فلما اتفقوا على هذا الرأي، بدأوا في مراودة أبيهم ليرسل معهم أخاهم يوسف لينفذوا خطتهم البشعة وجريمتهم الشنيعة:

"﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾"

وهنا ظهر خوف الأب المحب الشفيق على ابنه الصغير:

"حيث اعتذر إليهم بشيئين: "الأول: أن ذهابهم به ومفارقتهم إياه مما يحزنه؛ لأنه كان لا يصبر عنه ساعة؛ وذلك لفرط محبته له؛ لما يتوسم فيه من الخير العظيم، وشمائل النبوة والكمال في الخُلق والخَلق، –صلوات الله وسلامه عليه ، والثاني: خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه في لعبهم؛ لقلة اهتمامهم به، فيأتي الذئب فيأكله، ولا يستطيع أن يدفعه؛ لِصِغَرِه وضعفه"[(١)].

(١) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (١٨/ ٤٢٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٧٣).

المرحلة الثانية:(صبره عند تحقق الفقد ووقوعه):

لقد نجح إخوة يوسف في إقناع أبيهم أن يرسل معهم أخاهم يوسف-عليه السلام-.

وها قد جاءت اللحظة الفارقة؛ لحظة علا فيها نداء الشيطان والنفس الأمارة بالسوء على نداء الرحمة والشفقة والرأفة، حتى فتكت قسوة القلوب وأمراض النفوس برباط الأخوة وميثاق الأبوة، حيث نفذ الأخوة ما اتفقوا عليه من الخلاص من أخيهم يوسف-عليه السلام-، ثم جاؤا أباهم مساءً ليعلنوا الخبر الصادم له، ويصبوا عليه ألم الفقد، ومرارة الفراق حينا طويلًا من الدهر.

قال -تعالى-:"﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾".

فقد صورت السورة الكريمة محاولتهم الفاشلة لحَبْك ما قصوه كذبًا على أبيهم يعقوب-عليه السلام- في شأن أكل الذئب لأخيهم يوسف-عليه السلام-، فبعد أن ألقوه في الجب، وقد أخذوا قميصه، لطخوه بدم شاة ذبحوها؛ ليوهموا أباهم أن الذئب أكله، ونسوا أن يخرقوا القميص، وآفة الكذب النسيان، فلو كان من أثر افتراس الذئب لصاحبه، لظهر التمزق والتخريق في القميص، ولتغلغل الدم في قطعة منه.

لكن يعقوب-عليه السلام- بفراسته رأى من قسمات وجوههم ودلائل أحوالهم علامات الريبة والخداع؛ فلم يصدقهم؛ لأنه كان يفهم عداوتهم ليوسف-عليه السلام-، وحسدهم إياه على محبته له أكثر منهم؛ لما كان يتوسم فيه من الجلالة والمهابة التي ظهرت عليه في صغره، تأهيلًا لما سيخصه الله به من النبوة، فقال لهم:" ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ ﴾" أى: ليس الأمر كما تدعون، ولكن أنفسكم هي التي زينت لكم أمرا أنتم أردتموه(١).

(١) **ينظر**: قصص الأنبياء لابن كثير(١/ ٣١٥)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٣٣٠)

وإذا تأملنا هذه اللحظة الأليمة والصدمة الشديدة التي مر بها يعقوب-عليه السلام- حينما أتاه خبر فقدان ابنه الحبيب بتلك الصورة البشعة، واستشعاره خديعة أبنائه له، وتكالبهم على ولده الصغير، وكيدهم ومكرهم به، وتخلصهم منه، نجد أنها من أصعب اللحظات التي يمر بها أي أب، فكم هو شعور مؤلم، ووجع شديد، وكأنه كالصخرة الضخمة التي تطبق على أنفاسه، فلا يكاد يميز ما يسمع وما يجري من هول ما أصابه من الغم والكرب الشديد.

لكننا نجد أنفسنا أمام أب صابر محتسب سلَّم أمره إلى مولاه-عز وجل-، مستعينا به-عز وجل-، حيث قال في وجه هذا المصاب الجلل: "﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾".

"والصبر الجميل: هو الصبر الذي لا يصحبه تسخط، ولا جزع، ولا شكوى للبشر "(١).

وقال ابن رجب: "والصبر الجميل هو: أن يكتم العبد المصيبة، ولا يخبر بها" (٢).

عجيب أمرك يا نبي الله-تعالى- يعقوب! كيف استطعت أن تملك زمام نفسك في مثل هذا الموقف الصعب الشديد، وأمام تلك الفاجعة الكبرى المؤلمة حتى تعلنها مدويَّة: "﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾".

إنه ابتلاء لا يمكن أن يتحمله كل أحد، ولن يتحمله إلا من كان يقينه في الله-تعالى- كبيرًا، واعتماده على عون الله-تعالى-عظيمًا.

يقول الرازي: " واعلم أن إقدام يعقوب-عليه السلام-على الصبر لا يمكن إلا بمعونة الله-تعالى-؛ لأن الدواعي النفسانية تدعوه إلى إظهار الجزع وهي قوية، والدواعي الروحانية تدعوه إلى الصبر والرضا، فكأنه وقعت المحاربة بين الصنفين، فإذا حصلت إعانة الله -تعالى- حصلت الغلبة" (٣).

---

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣/ ١٦)، التفسير البسيط للواحدي (١٢/ ٤٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٢٢٨).

(٢) **ينظر**: مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٥٣).

(٣) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (١٨/ ٤٣٢).

حقّا إنه لصراع شديد وقع فيه هذا الأب المحب، صراع بين نفسه المتألمة المتوجعة على فقدان أحب أبنائه إليه، التي تدفعه دفعًا إلى الجزع والتسخط على هذا المصاب الجلل، وبين الباعث الروحاني الإيماني الذي يحثه على الصبر على قضاء وقدره.

يقول الغزالي: " فأما الصبر على بلاء الله-تعالى- فلا يقدر عليه إلا الأنبياء؛ لأنه بضاعة الصديقين؛ فإن ذلك شديد على النفس، ولذلك قال -ﷺ-:« أسألك من اليقين ما تهون علي به مصائب الدنيا»[1] " [2].

حقًّا إنها مسألة تعز على خلق الله؛ ولابد أن يفزع فيها الإنسان إلى ربه؛ ولذلك قال يعقوب-عليه السلام-: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [3] .

ثانيًا: صبر يعقوب-عليه السلام- على فقدان ابنه الثاني بنيامين:

"لما دخلت سنون الجدب، وعم القحط، أرسل يعقوب-عليه السلام- بنيه -غير بنايمين- إلى مصر للميرة[4]،﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف:٥٨] أي عرفهم يوسف وهو الحاكم في أمور مصر آن ذاك، ولم يعرفوه؛ لطول العهد، ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه، وتوهمهم أنه هلك، وبُعْدِ حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه، وقلة تأملهم فيه من التهيب والاستعظام"[5].

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات (٥/ ٥٢٨) حديث:(٣٥٠٢) من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-، وقال الترمذي:" حديث حسن غريب".

(٢) **ينظر**: إحياء علوم الدين للغزالي(٤/ ٧٢).

(٣) **ينظر**: تفسير الشعراوي (١١/ ٦٨٩٢).

(٤) **الميرة**: يقال: "مار أهلَه ويَميرُهم مَيْرًا، وهو مَائِرٌ أهلَه؛ إذا حمل إليهم أقواتَهم من غير بلده، قال-تعالى- على لسان إخوة يوسف-عليه السلام-: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ "[يوسف:٦٥]. **ينظر**: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢١٩)، لسان العرب-مادة:(مير) (٥/ ١٨٨)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي(٤/ ١٣١).

(٥) **ينظر**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٣/ ١٦٨)، قصص الأنبياء لابن كثير(١/ ٣٣٧).

" فلما أعطاهم يوسف–عليه السلام– ما يحتاجون إليه من الطعام، "﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ " [يوسف:٥٩] يعني: الذي خلفتموه عنده حتى أعطيه مثل ما أعطيتكم، "﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٥٩ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ٦٠﴾" وهذا التحذير منه–عليه السلام– يشعر بأن إخوته أخبروه بأنهم سيعودون إليه مرة أخرى؛ لأن ما معهم من طعام لن يكفي طويلًا، ووعدوه بمجيء بنيامين معهم في المرة القادمة: ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١﴾ والمراودة: هي طلب الشيء برفق ولين ومخادعة ومحايلة[1]، وقولهم هذا فيه دلالة على أنهم يعلمون أن إرسال أبيهم لبنيامين معهم ليس أمرًا سهلًا. ولما هَمَّ إخوة يوسف بالرحيل، قال يوسف–عليه السلام– لفتيانه وهم غلمانه وأتباعه: دسوا بضاعتهم خفية، أي: ثمن الطعام الذي أخذوه في رحالهم؛ حتى يجدوه ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٦٢﴾ إلينا بها وبأخيهم"[2].

وهنا ستبدأ رحلة فقدان يعقوب–عليه السلام– لابنه بنيامين، والتي مرت بمرحلتين كما صورتها سورة يوسف–عليه السلام–:

---

(١) **ينظر–مادة:(رود) في:** المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٣٧١)، المصباح المنير للفيومي(١/ ٢٤٥)، **وينظر:** البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٢٩٤).

(٢) **ينظر:** لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/ ٥٣٧)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٣٨٥).

اخْتلف أهل التفسير فِي السبب الذي من أجله رد يوسف–عليه السلام– بضاعتهم عَلَيْهِم؟

فقيل: حتى يكون ذَلِك حثا لَهُم على الرُّجُوع عندما يرون كرم الملك وإحسانه، أو يرجعوا ردًا للبضاعة نفيًا للغلط، وقيل: أإنه عرف أَن الدَّرَاهِم كَانَت قَلِيلَة عِنْدهم، فَرد الدَّرَاهِم عَلَيْهِم؛ ليَكُون عونا لَهُم على شِرَاء الطَّعَام، وقيل: إنه استحيا أَن يُعْطي أَبَاهُ وَإِخْوَته بِالثّمن مَعَ شدَّة حَاجتهم وسعة الْأَمر عَلَيْهِ. **ينظر:** تفسير السمعاني (٣/ ٤٥).

المرحلة الأولى: (خوف يعقوب-عليه السلام- من الفقد قبل حدوثه):

عند رجوع إخوة يوسف-عليه السلام- لأبيهم يعقوب-عليه السلام- بدأت مراودتهم له؛ كي يرسل معهم أخاهم بنيامين، مع علمهم بشدة حب أبيهم له، وولعه به، وعدم صبره عن مفارقته؛ فهو الذي يتسلى به عن أخيه يوسف-عليه السلام- الذي فقده.

قال-تعالى-:"﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾"أي:" سيمنع منا الكيل في المستقبل لبنيامين إن لم ترسله معنا يكتل لنفسه طعامًا "[1].

فأجابهم يعقوب-عليه السلام- إجابة الأب المكلوم المعاتب لهم، الذي لم يبرأ جرحه، ولم ينته وجعه على فقد ولده الأول: "﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾"أي: كيف آمَنُكُمْ عليه، وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم**!؟**"[2].

"وازدادت مراودتهم لأبيهم حين فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد رُدَّتْ إليهم، فقالوا لأبيهم – ترغيبًا له في إرسال أخيهم معهم –: "﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾" أي: أي شيء نطلب بعد هذا الإكرام الجميل، حيث وفَّى لنا الكيل، ورد علينا بضاعتنا؟ فإنا إذا ذهبنا بأخينا صار سببا لكيله لنا، فنأتي أهلنا بالقوت، "﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾" أي: سهل لا ينالك فيه ضرر؛ لأن المدة لا تطول، والمصلحة قد تبينت"[3].

وكعادة يعقوب-عليه السلام- ذاك الأب الرحيم العطوف الهين اللين؛ فإنه استجاب لدعوة أبنائه في إرسال أخيهم بنيامين معهم؛ لما علم من المصلحة في ذلك، مع أخذه عليهم المواثيق والعهود في إرجاعه إليه مرة أخرى، مع توكله على الله-عز وجل-فقال لهم:"﴿لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٦٦﴾".

---

(١) **ينظر**: التفسير البسيط للواحدي (١٢/ ١٦٥).

(٢) **ينظر**: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٥٠١).

(٣) **ينظر**: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٤٠٢).

وبالفعل ذهبوا إلى يوسف-عليه السلام- بأخيهم بنيامين، وحينها بدأ يوسف-عليه السلام-في تنفيذ خطته التي أراد بها ضم شقيقه بنيامين إليه، وقد أخبره يوسف-عليه السلام- بما سيقوم به من تدبير حيلة السرقة؛ ليستبقيه عنده في مصر، ونجحت الخطة وتمت كما أرادها يوسف -عليه السلام- وفق مشيئة الله-تعالى-.

المرحلة الثانية: (صبر يعقوب-عليه السلام- عند تحقق الفقد ووقوعه) :

لما رجع إخوة يوسف إلى أبيهم، ظل يتفحص الوجوه باحثًا عن ابنه بنيامين، فأخبروه بما جرى من شأن السرقة، وما ترتب عليها من أخذ الملك لأخيهم بنيامين واسترقاقه له، محاولين أن يثبتوا صدق كلامهم بشهود القافلة التي كانوا فيها على ذلك، قائلين: ﴿ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ ﴾

لقد نزل الخبر على قلب يعقوب-عليه السلام- كالصاعقة، ولسان حاله يقول: ألم تعطوني العهود والمواثيق لتأتنني به؟! ألم تعدوني أن تحفظوه وتعيدوه إليَّ مرة أخرى؟! أنسيتم أنكم فرطتم بأخيه من قبل؟! ألا يكفيكم حزني ووجعي على يوسف-عليه السلام-؟!

إنها آلام وأوجاع تكفي لأن تفتك بقلب صاحبها، وقد تصيبه باليأس والقنوط.

لكنه قلب نبي الله-تعالى-يعقوب-عليه السلام- الذي اتخذ الصبر رفيقًا وصاحبًا يتسلى به كلما تكالبت عليه الابتلاءات والهموم، وتكاثرت عليه الفواجع والأحزان، فيردد مع كل مصاب يصيبه:﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ ﴾، لكنه هذه المرة أضاف إلى الصبر جملة أخرى تدل على قوة أمله، ورجائه الكبير في رحمة الله-عز وجل- الواسعة في جمع شمله بأبنائه جميعًا، فقال- عليه السلام-: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ ﴾ " أي: العليم بحالي، الحكيم في كل ما يفعله ويقضى به، وهذا القول من يعقوب- عليه السلام- يدل دلالة واضحة على كمال إيمانه، وحسن صلته بخالقه-سبحانه وتعالى-، وقوة يقينه

ورجائه في كرم ولطف مولاه- ﷻ-، وكأنه بهذا القول يرى بنور الله-ﷻ- الذي غرسه في قلبه ما يراه غيره بحواسه وجوارحه"[1].

وهو مع رجائه وصبره إلا أنه بشر يعتريه من الحزن والبكاء ما يعتري الآباء عند فقدان أبنائهم، وهذا ما صورته السورة الكريمة من حال يعقوب-عليه السلام-، حيث قال-تعالى-: "﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾".

وكأن هذه المصيبة حركت كوامن الأحزان والآلام والأسى في نفس يعقوب-عليه السلام-، فتذكَّر فقده ليوسف-عليه السلام-، وازداد بكاؤه على ولديه حتى ابيضت عيناه حزنًا وكمدًا عليهما.

وفي التعبير القرآني في وصف حال يعقوب-عليه السلام- بقوله: فهو كظيم، يدل بوضوح على أن حزنه لم يناف صبره،" فالكظيم: مبالغة للكاظم، والكظم: الإمساك النفساني، أي كاظم للحزن لَا يُظْهِرُهُ بين الناس، ويبكي في خَلْوَتِه"[2]، فقد كان حزنه وشكواه لربه-ﷻ- لا لأحد من خلقه حيث قال:" ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾".

"ولسائل أن يسأل: كيف استجاز يوسف-عليه السلام- إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه، وكيف رضي بنيامين بذلك؟"

"**ويجاب على هذا:** بجواز أن يكون الله-ﷻ- أمر يوسف-عليه السلام- بذلك ابتلاء ليعقوب؛ ليعظم له الثواب، وهذا ما استظهره القرطبي، واستحسنه الخطيب الشربيني" [3].

أما الشيخ الشعراوي-رحمه الله تعالى- فأجاب بأن:" حزن يعقوب-عليه السلام- على فقد يوسف-عليه السلام- قد غلبه؛ فلن يؤثر فيه كثيرًا فقد

---

(١) **ينظر**: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٤٠٦).

(٢) **ينظر**: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني-مادة:(كظم) (ص: ٧١٢)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/ ٤٣).

(٣) **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٢٢٢)، السراج المنير للخطيب الشربيني (٢/ ١٢٩).

بنيامين، ودليل ذلك: أن يعقوب-عليه السلام-حين عاد أبناؤه وأخبروه بحكاية السرقة، واستبقاء بنيامين في مصر، قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤] ، ولم يذكر يعقوب بنيامين"(١).

ولذلك استنبط العلماء من حادثة سرقة الصواع: " جواز الحيلة في التوصل إلى المباح، وما فيه من العظة والصلاح، واستخراج الحقوق" (٢).

مما سبق يتبين لنا كيف أن نبي الله -تعالى- يعقوب -عليه السلام- واجه كل تلك الأحداث المليئة بالأزمات والشدائد بالصبر والرجاء واليقين.

ثالثًا: صبر يعقوب-عليه السلام- على كيد أبنائه ومكرهم:

إن من المظاهر الأخرى التي صورتها سورة يوسف: صبر ليعقوب-عليه السلام- صبره على كيد أبنائه وخديعتهم له، ويتجلى ذلك واضحًا في مكرهم بأخيهم المحبب إلى قلبه، ومكيدتهم التي دبروها ليبعدوه عنه، حيث اختلقوا كذبًا قصة الذئب الذي أكل يوسف-عليه السلام- من جنس ما أخبرهم أبوهم أنه متخوف منه، حتى قال العلماء :" كأنه لقنهم الحجة والعذر الذي سيعتذرون به كذبًا، وذلك حين حذرهم من الذئب"(٣)، فلم يرحموا قلب أبيهم حين أتوه بقميص يوسف-عليه السلام- وقد لطخوه بدم شاة، وأخبروه أنه دم يوسف.

فأي عقوق هذا! وأي قسوة ووحشية تلك التي جعلتهم يحرمون أباهم من فلذة كبده، ابنه الصغير الحبيب القريب إلى قلبه!، حيث فرقوا بينه وبين أبيهم، دون أدنى رحمة أو شفقة على هذا الأب الذي عاش في ألم الحزن أمدًا طويلًا؛ جراء فعلتهم الشنيعة.

ومع ذلك لم نر من يعقوب-عليه السلام- تجاهم إلا الصبر؛ فلم يتبرأ منهم، ولم يطردهم، بل اكتفى بقوله لهم كما حكاه القرآن الكريم عنه: " ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ "[يوسف:١٨] .

---

(١) تفسير الشعراوي (١١/ ٧٠٢٣).

(٢) **ينظر**: أحكام القرآن للكيا الهراسي (٤/ ٢٣٣).

(٣) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (١٨/ ٤٢٦)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٤/ ٦٩).

وهكذا كان ديدنه معهم – يعاملهم بالصبر والحلم– حتى عندما طلبوا منه أن يرسل معهم أخاهم بنيامين؛ ليمتار لنفسه معهم، قال لهم متخوفًا معاتبًا لهم: " ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾"، وما زالوا به حتى أجابهم إلى مطلبهم، **وهو مع هذا كان حريصًا عليهم، باذل النصح لهم، حين خشي عليهم العين**–الحسد– فأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة، ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ " [يوسف:٦٧] ، ثم إنه بعد رجوعهم إليه من مصر بدون أخيهم بنيامين، وإخبارهم له بحادثة السرقة، **لم يكن له كعادته** –عليه السلام– **بديلًا عن الصبر في مقابلتهم.**

قال –تعالى–حكاية عنه: " ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ ".

ثم بعد ذلك يناديهم بقوله: "﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ " **فما زال يتودد إليهم في ندائهم بقوله:** "﴿يَٰبَنِيَّ﴾"، وكأنه يقول لهم: ستظلون أبنائي مهما صدر منكم، ثم يدعوهم إلى البحث عن أخويهما يوسف وبنيامين، **وينصحهم بعدم اليأس والقنوط من رحمة الله**–**تعالى**–، ولسان حاله يطلب لهم الهداية، ويتمنى أن تُغرس في نفوسهم الرحمة والحب تجاه أخويهما يوسف وبنيامين.

ما كل هذا الصبر الجميل أيها النبي الكريم، والأب الحليم–صوات ربي وسلامه عليك–؟! إنه صبر يلين له الحديد، وتتصدع له الصخور الصماء.

رابعًا: صبر يعقوب-عليه السلام- على ابيضاض عينيه[١]:

عندما ازدادت الابتلاءات على يعقوب-عليه السلام- وبلغت ذروتها بفقد أحبِّ ولديه إليه، ثم بياض عينيه بكثرة حزنه وبكائه عليهما؛ ازداد لديه الصبر والرجاء والأمل واللجوء إلى الله-تعالى- وحده.

وهذا ما صوره القرآن، قال -تعالى-: "﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي

---

(١) اختُلِف أهل العلم في المراد من ابيضاض عين يعقوب-عليه السلام-، هل المراد منه: العمى، أو ضعف الرؤية، أو الغشاوة وتحول السواد إلى بياض؟؛ وهذا يسوقنا إلى مسألة: هل يجوز العمى على الأنبياء؟ قال الصفدي في "نكث الهميان في نكت العميان" (ص: ٣٣): " قال حذاق الأصوليين: إن العمى لا يجوز على الأنبياء؛ لأن مقام النبوة اشرف من ذلك"، "وذكروا أن ابيضاض عين يعقوب إنما هو كناية عن غلبة البكاء وامتلاء العين بالدموع."

-وقال ابن عاشور في" التحرير والتنوير" (١٢/ ١٠٨):" وابيضاض العينين: ضعف البصر، وظاهره: أنه تبدل لون سوادهما من الهزال؛ ولذلك عبر بـ ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ [يوسف:٨٤] دون عميت عيناه" .

- وقال صاحب "منح الجليل شرح مختصر خليل" (٣/ ٢٤٢): " لَا يَجُوزُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - جُنُونٌ وَلَوْ قَلَّ زَمَنُهُ، وَلَا إغْمَاءٌ طَوِيلٌ، جَزَمَ بِهِ الْبُلْقِينِيُّ، وَلَا عَمًى كَمَا ذَكَرَهُ السُّبْكِيُّ، فَلَمْ يَعْمَ نَبِيٌّ قَطُّ، وَمَا رُوِيَ فِي شُعَيْبٍ - عليه السلام- لَمْ يَثْبُتْ، وَيَعْقُوبُ - عليه السلام- كَانَتْ بِهِ غِشَاوَةٌ وَزَالَتْ، أَوْ إنَّهُ اسْتَحَالَ السَّوَادُ بَيَاضًا؛ لِقَوْلِهِ-تَعَالَى-: " ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾"، وَكَانَ يُبْصِرُ بِهِمَا، فَقَوْلُهُ- تَعَالَى-: ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف:٩٦]: أَيْ مِنْ حَالَةِ الْبَيَاضِ"

- "وَقِيل: عَمِيَ سِتَّ سِنِينَ". **ينظر**: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٤٨) .

- وقال الألوسي في روح المعاني (٦/ ٣١٨): " المصحح عند أهل السنة: أن الأنبياء- عليهم السلام- ليس فيهم أعمى، وما حكاه الله-تعالى- عن يعقوب- عليه السلام- كان أمرًا عارضًا وذهب" .

- مما سبق نخلص إلى: أن ابيضاض عين يعقوب المراد به: غشاوة بيضاء كانت على عينيه؛ أدت إلى ضعف شديد في بصره، ثم زال هذا الأمر بعد ذلك.

وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾"، والبثُّ: أصعبُ الهم الذي لا يصبر عليه صاحبُه، فيبثّه إلى الناس، أي: ينشره، فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية، فقال لهم: إني لا أشكو ما بي إليكم أو إلى غيركم حتى تتصدّوا لتسليتي، وإنما أشكو همي وحُزْنِى إِلَى الله- تعالى-، ملتجئًا إلى جنابه، متضرِّعًا لدى بابه في دفعه[1] ، ثم قال لهم: "﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ " " أي: أعلم من لطف الله-تعالى- ورأفته ورحمته، ما يوجب حسن ظني وقوة رجائي، وأنه لا يخيب دعائي، ما لا تعلمون" [2]، ثم دعى أبناءه إلى الذهاب إلى مصر، والبحث عن يوسف-عليه السلام- وأخيه بنيامين، فقال:

"﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾".

وهنا نلمح جليًّا علو اليقين والرجاء عند يعقوب-عليه السلام- في رجوع ابنه إليه مرة أخرى، ليس بنيامين فحسب، بل ويوسف -عليه السلام- أيضًا الذي فقده منذ أمد بعيد.

هكذا تُحْدِث الابتلاءات في نفوس المؤمنين الصادقين؛ إنها لا تزيدهم إلا صبرًا ورجاءً ويقينًا فيما عند الله- تعالى- من الرحمات والفضل والإحسان.

المطلب الثاني: صبر يوسف-عليه السلام-:

عرضت السورة الكريمة ألوانًا من الفتن والابتلاءات التي تعرض لها يوسف-عليه السلام- فواجهها بكل صبر وثبات واعتصام بالله-عز وجل-، ومن أمثلة ذلك:

أولًا: صبر يوسف-عليه السلام- على فراق أبيه:

مما لا شك فيه أن وجود الأب له دور كبير ومؤثر في حياة الابن، وفقدانه هو فقدان للرعاية والأمان والحنان والدعم والسند والقدوة، وقد عاش يوسف-عليه السلام- سنين طويلة بعيدًا عن كنف أبيه ورعايته، فلم يحمله بعده

(١) **ينظر**: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني-مادة: (بث) (ص: ١٠٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٣٠٢).

(٢) **ينظر**: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٢/ ٦٢١).

عن أبيه أن ينحرف عن جادة الحق، ولم يكن هذا الفراق الطويل مدعاة أن يجعله ناقمًا على المجتمع، كارهًا حاسدًا لكل من حوله.

بل إذا تأملنا أحداث حياة يوسف-عليه السلام- كما صورتها السورة الكريمة، **نجد أنه-عليه السلام- قد سلك مسلك الصابرين**، المتقين لله-تعالى-، الحافظين لحدوده-عز وجل-، الداعين لدينه-جل جلاله-.

ويتضح ذلك من خلال موقفه الذي خلده القرآن الكريم أمام فتنة امرأة العزيز، وكذلك ما كان منه بعد دخوله السجن، حيث كان حريصًا على دعوة غيره من السجناء إلى وحدانية الله-عز وجل- التي هي ملة أبيه وأجداده-عليهم السلام-، وقد ذكر صاحب تفسير المنار أن المصريين آنذاك كانوا يعبدون كغيرهم من الأمم أربابًا متفرقين(١)، وقد حكى القرآن الكريم عن يوسف-عليه السلام- وهو يدعو صاحبيه في السجن مرغبًا لهما في الإيمان والتوحيد، ومنفرًا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال، حيث قال: "﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾"

من هنا يظهر جليًّا كيف أن يوسف-عليه السلام- قد حذا حذو أبيه يعقوب-عليه السلام-، متبعًا ما علمه إياه في صغره من اتباع الحق، والسير في طريق الهدى والصلاح، **وكأنه يسلي نفسه ويصبرها**، ها أنا قد فقدتك يا أبي، لكني ما زلت سائرًا على دربك، مقتديًا بنهجك، مؤتمرًا بأمرك، مسترشدًا بتوجيهاتك وما علمتني إياه.

ثانيًا: صبر يوسف-عليه السلام- على فتنة امرأة العزيز:

في هذه الواقعة يتجلى نوع عظيم من أنواع الصبر، وهو الصبر عن المعصية، وقد ذكر العلماء أنه أفضل من الصبر على الشدائد والأقدار المؤلمة(٢)؛ لأنه صبر اختياري لا اضطراري، لذلك قيل: " كان صبر

(١) **ينظر**: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١٢/ ٢٥٣).

(٢) **ينظر**: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٥).

يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها: أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، **وأما صبره عن المعصية: فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس، ولا سيما مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة**، فإنه كان شابًا، وداعية الشباب إليها قوية، وعزبًا ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريبًا، والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله، ومملوكا، والمملوك أيضا ليس وازعه كوازع الحر، والمرأة جميلة، وذات منصب. وهي سيدته، وقد غاب الرقيب، وهي الداعية له إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار، **ومع هذه الدواعي كلها صبر اختيارا، وإيثارا لما عند الله**-جل جلاله-، وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه!؟"[1]؛ لذلك وعد الله- تعالى- من كان هذا شأنه بظل عرش الرحمن يوم القيامة.

ويصور لنا القرآن الكريم هذا المشهد العصيب الذي صبر فيه يوسف-عليه السلام-، ذاك الشاب ذو العنفوان والفتوة والجمال عن فتنة الدعوة إلى ارتكاب الفاحشة التي تيسرت كل الدواعي لها، كما يلي:

يقول الله-تبارك وتعالى-: "﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾" أي:" طلبت منه امرأة العزيز أن يواقعها، وأصل المراودة: الإرادة والطلب برفق ولين"[2]،"﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾": أي هلم وأقبل، "﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾"أي أعوذ بالله وأعتصم به فيما دعوتني إليه، ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ يعني: أن العزيز سيدي أكرم منزلتي؛ فلا أخونه، وقيل المعنى: إن الله ربي أحسن مثواي، يعني: أنه آواني، ومن بلاء الجب نجاني، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ يعني: إن فعلت هذا الفعل

(١) **ينظر**: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٥٦).

(٢) **ينظر**: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني-مادة:(رود) (ص: ٣٧١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٦٢).

فأنا ظالم، ولا يفلح الظالمون"[١]، "﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾"

أما عن الهَمِّ المذكور في قوله-تعالى-: "﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ﴾"

فقد اختلف فيه العلماء إلى فريقين: **الفريق الأول:** أثبتوا وقوع الهم من يوسف-عليه السلام-، ولكن انقسموا في ذلك إلى قسمين:

"القسم الأول: ذهب بأن همه-عليه السلام- بها كان من جنس همها به، وأنه كاد أن يواقعها، إلا أن الله-تعالى- عصمه عن السوء والفحشاء[٢] "، وهذا القول لا يليق بعصمة الأنبياء.

والقسم الثاني: "أثبت همًّا وقع من يوسف-عليه السلام-ولكنه هم خطرات، وحديث نفس لا يمكن دفعه"، **وهذا القول اختاره ورجحه أكثر أهل العلم** كابن عطية، وابن العربي، والقرطبي، وابن جزي[٣] وغيرهم، وهذا هو اللائق بعصمة الأنبياء.

قال البغوي: " وقال بعض أهل الحقائق: الهم همَّان، هَمٌّ ثابت: وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى، مثل: هَمّ امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به، وهَمٌّ عارض: وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل هَمّ يوسف- عليه السلام-، والعبد غير مؤاخذ به، ما لم يتكلم أو يعمل" [٤].

---

(١) **ينظر**: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/ ٥٢٠).

(٢) **وممن ذهب إلى هذا القول**: الطبري في جامع البيان(١٦/ ٣٤)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٧٢).

(٣) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٣٨٤)، أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٤٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٦٦)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ٣٨٤).

(٤) معالم التنزيل (٢/ ٤٨٥).

وقد صح عن النبي-عليه السلام- أنه قال:" «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ، أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ» " (١).

أما الفريق الثاني:" فقد نفوا وقوع الهم من يوسف-عليه السلام-أصلًا؛ لأنه رأى برهان الله-عز وجل-، فمنعه ذلك من الهم، وذلك على اعتبار أن في الكلام تقديم وتأخير"(٢).

والذي نخلص إليه ونرجحه:" أن هم يوسف-عليه السلام- كان من الخاطر الذي يتسلل إلى نفس الإنسان دون اختيار، وهذا هو الأليق بعصمة الأنبياء-عليهم السلام-، **ويكون ما فعله يوسف-عليه السلام- من قبيل الصبر عن معصية الله-عز وجل-**، "ولو كان-عليه السلام-لم يهم أصلًا؛ لما كان لذكر همه في الآية فائدة ظاهرة ".

***

- وبعد أن شاع خبر مراودة امرأة العزيز، وتردد على ألسنة النسوة في المدينة، وعلمت امرأة العزيز بذلك، دبرت لهن مكيدة، فجمعتهن في بيتها؛ ليرين ما عليه يوسف-عليه السلام- من الجمال والحسن، فيعذرنها في شغفها به، وحبها له، **ثم توعدت امرأة العزيز يوسف-عليه السلام- بالسجن والمهانة إن لم يستجب لمراودتها له،**"﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾"

هنالك دعا يوسف-عليه السلام- ربه قائلًا: " ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾" أي: " إن وكلتني إلى نفسي، فليس لي من نفسي إلا العجز والضعف، ولا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله، فأنا ضعيف إلا ما قويتني وعصمتني وحفظتني،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأيمان والنذور، باب: إذا حنث ناسيا في الأيمان (٨/ ١٣٥) حديث: (٦٦٦٤) من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

(٢) **اختار هذا الرأي:** أبو حيان، وابن عاشور. **ينظر:** البحر المحيط (٦/ ٢٥٧)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٥٣).

وحطتني بحولك وقوتك" [١]، "﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾" .

- **لقد آثر يوسف-عليه السلام- السجن على الوقوع في الفاحشة، فكان صبره عن المعصية أعظم من صبره على كيد إخوته حين رموه في الجب وأعظم أجرا؛ لأنه صبر اختياري مع وجود الدواعي الكثيرة لصدور الفعل، لكنه آثر محبة الله -عز وجل- ورضوانه؛ لذلك كان الصبر الاختياري أكمل من الصبر الاضطراري[٢].**

ثالثًا: صبر يوسف-عليه السلام- على طول المكث في السجن:

إن المتأمل في سورة يوسف-عليه السلام- يجد أنه تعرض لابتلاءات متتالية، ابتلاء تلو آخر، ثم لم يكن منه إزاء كل تلك الابتلاءات المتعاقبة إلا الصبر الجميل.

وقد صورت لنا سورة يوسف كيف تعامل-عليه السلام- مع محنة دخوله السجن، وأنه لم يقابل تلك المحنة الشديدة بالانزواء واعتزال السجناء، ولا بندب حظه، والتحسر على مافات، ولا اليأس مما هو آت، **بل تعامل مع المحنة الصعبة بالصبر الإيجابي؛ حيث استغل فترة وجوده بالسجن في دعوة السجناء إلى عبادة الله-تعالى- وحده، ومما حكاه القرآن الكريم عن ذلك قوله لصاحبيه في السجن:** "﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾" والمعنى: " أأن تكون لكما آلهة شتى عاجزة لا تنفع ولا تضر، وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات، يستعبدكما هذا، ويستعبدكما هذا، خير لكما، أم أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية؟!" [٣].

---

(١) **ينظر**: قصص الأنبياء لابن كثير (١/ ٣٢٥).

(٢) **ينظر**: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (ص: ٣٣).

(٣) **ينظر**: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٣٩٨)، الأساس في التفسير لسعيد حوَّى (٥/ ٢٦٥٦).

" فإن ما تعبدونه من دون الله إنما سميتموه أنتم آلهة من عند أنفسكم، ما أنزل الله بتلك التسمية

من حجة تدل على صحتها، لكن هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد، وإخلاص العمل لله، هو الدين المستقيم الذي أمر الله به، ولكن أكثر الناس لا يعلمون؛ فلهذا كان أكثرهم مشركين" (١).

هكذا كان يوسف-عليه السلام- في محنة السجن، صابرًا، محتسبًا، داعيًا إلى دين الله- عز وجل-.

<u>ومما يدل أيضًا على قوة صبر يوسف-عليه السلام- وثباته:</u> أنه حينما طلبه الملك، وأمر بإخراجه من السجن بعدما فسر له الرؤية، كان من المتوقع أن يبادر بالخروج بعد هذه السنوات الطوال التي قضاها مظلومًا في السجن، لكنه لم يخرج إلا بعدما طلب التحقيق في تلك الواقعة التي دخل لأجلها السجن.

قال الرازي:" فحيث لم يخرج؛ عرف منه كونه في نهاية العقل والصبر والثبات"(٢).

وقال ابن عطية: " كان هذا الفعل من يوسف-عليه السلام- أناة وصبرًا وطلبًا لبراءة الساحة"(٣).

<u>رابعًا: صبر يوسف-عليه السلام- على إخوته، وكيدهم له:</u>

لا شك أن يوسف-عليه السلام- قد لقي من إخوته من البغي والعدوان ما لقي؛ حسدوه وبغضوه وكادوا له كيدًا لا رحمة فيه؛ حين أجمعوا أمرهم أن يلقوه في ظلمات بئر صغيرًا ضعيفًا وحيدًا، ففرقوا بينه وبين أبيه، وحرموه حنان الأب ورعايته، وكانوا سببًا في أن يعيش حياة الرق فترة طويلة من عمره في بيت عزيز مصر حينما بيع عبدًا له، قال-تعالى-: "﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ

(١) **ينظر**: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣)، الأساس في التفسير لسعيد حوَّى (٥/ ٢٦٥٦).

(٢) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (١٨/ ٤٦٦).

(٣) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٢٥٢).

فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾"

ثم لم يكفهم كل هذا الطغيان، ولا مرور كل هذه الفترة الطويلة على فراق يوسف–عليه السلام– وغيابه، وعدم رؤيته، تلك الفترة الكافية لإذابة ما في قلوبهم من البغض والحسد تجاهه، إلا أنهم عندما سنحت لهم الفرصة أن يجهروا بتلك العداوة والكراهية لم يتأخروا هيينة، فافتروا عليه كذبًا، واتهموه بالسرقة حيث " ﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ ﴾" [يوسف:٧٧].

فلم يكن من يوسف–عليه السلام– ذاك النبي الكريم الحليم الصبور إلا أن أسرَّ مقولتهم تلك في نفسه، قال تعالى: " ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ ﴾ "[يوسف:٧٧]، " أي: أسرَّ الحزَّة التي حَدَثَتْ في نفسه من قول الإخوة، وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ لا قولًا ولا فعلًا؛ صفحًا عنهم وحِلمًا " [(١)]، بل أعطاهم ما يحتاجون إليه من طعام هم وأهلهم ولم يبخل عليهم بشيء.

ثم يصور لنا القرآن في نهاية السورة مشهدًا عظيمًا من مظاهر الصبر والعفو عند المقدرة، حينما أفصح لهم يوسف–عليه السلام– بالحقيقة وعرفهم بنفسه، وذكرهم بفعلتهم به، فاعترفوا بذنبهم وخطئهم في حقه، حينها لم يكن منه سوى العفو والصفح عنهم كما حكى القرآن عنه: " ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾" أي:" لا تعْيير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتُم بعد اعترافكم بالذنب، ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة، وحق الأخوة، ولكن لكم عندي العفو والصفح"[(٢)].

ففي مقابلة كل هذا الكم الهائل من الظلم والكيد والافتراء، نجد النبي الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب –عليهما السلام– يعطينا درسًا عظيمًا في الصبر، والحلم، وكظم الغيظ، والعفو عند المقدرة.

---

(١) **ينظر**: الجواهر الحسان للثعالبي (٣/ ٣٤٣)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٩٨).

(٢) **ينظر**: تهذيب اللغة للأزهري–مادة:(ثرب) (١٥/ ٥٩)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٢٢)، الهداية الى بلوغ النهاية لمكي (٥/ ٣٦٢٩)، تفسير السمعاني (٣/ ٦٢).

وقفات تأملية

- **الوقفة الأولى:**

من خلال تأملي في مواقف صبر يعقوب ويوسف-عليهما السلام- وجدت أن صبر يعقوب -عليه السلام- كان صبرًا يغلب عليه الاتسام بالأمل والرجاء واليقين وهذا واضح في السورة الكريمة في قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف:٨٣]، وفي قوله: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ ، أما يوسف-عليه السلام- فكان مع قوة يقينه ورجاءه يغلب على صبره الاتسام بالقوة والعمل.

فأما اتسام صبره-عليه السلام- بالعمل: فيظهر من خلال صبره على: فراق أبيه، ومحنة دخوله السجن.

فإن المتأمل في حاله يجد أنه لم يستسلم للحزن على فراق أبيه، بل سار على دربه، مقتديًا به، فاتبع ملته، ودعا غيره لاتباعها، ويظهر ذلك جليًّا من خلال ما كان منه عند دخوله السجن، حيث حرص على دعوة السجناء معه إلى وحدانية الله-تعالى-، وإخلاص العبودية له-عز وجل-.

وأما مظاهر اتسام صبره بالقوة-وأقصد بها القوة المعنوية النفسية أو ما يعبر عنه بـ(قوة الشخصية)- فتتمثل في:

١- موقفه عند استدعاء الملك له من السجن، حيث إنه لم يبادر بالخروج، مع أن من استدعاه هو ملك مصر، وقد جاءته الفرصه للخلاص من سجنه، لكنه امتنع عن الخروج حتى يتم التحقيق أولًا في الواقعة التي دخل السجن على إثرها؛ كي تظهر براءته، ويخرج للناس مرفوع الرأس.

٢- موقفه مع إخوته، فبعد أن صار عزيز مصر، وقد عاد إليه إخوته راجين فضله بعد أخذه بنيامين، قال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ ، فكأنه بأخذه بنيامين أراد أن يقوِّمهم، ويذكِّرَهم بفعلتهم الشنعية من قبل، وهذا من مظاهر القوة مع الصبر، فلما أحسوا بذنبهم، واعترفوا بخطئهم، عفا عنهم، فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف:٩٢]، فكأنه أراد أن يخبرهم أنكم ما دمتم قد اعترفتم بذنبكم، وشعرتم بجرم ما اقترفتموه، وتبتم إلى الله-تعالى-فلا عتب عليكم حينئذ، ولا شيء يقطع رباط الأخوة بيني وبينكم.

هكذا كان صبر يوسف–عليه السلام– صبر يتسم بالقوة والعمل، ولعل السبب في تمايز صبر يعقوب ويوسف–عليهما السلام– يرجع إلى فارق السن، فيعقوب–عليه السلام– كان مسنًّا، ولديه مسؤوليات، وأسرة كبيرة؛ فكان صبره يغلب عليه سمة الأمل والرجاء، أما يوسف–عليه السلام– فكان في عنفوان الشباب والفتوة؛ لذا غلب على صبره الاتسام بالقوة والعمل، وهذا هو الأليق والأنسب بالشباب.

- **الوقفة الثانية:**

إن المتأمل في سورة يوسف–عليه السلام– يجد أنها قد تحقق فيها أنواع الصبر الثلاث، وهي:

- **النوع الأول: "صبر بالله:**

وهو صَبْرُ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَرُؤْيَتُهُ أَنَّهُ هُوَ الْمُصَبِّرُ، وَأَنَّ صَبْرَ العبد بربه لا بنفسه، كما قال–تعالى–: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [**النحل**:١٢٧] يعني: إن لم يصبرك هو لم تصبر" (١).

ومثال هذا النوع من الصبر في ضوء ما صورته سورة يوسف–عليه السلام–: في قول يعقوب–عليه السلام– ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [**يوسف**:١٨] ، وكذلك في استعانة يوسف–عليه السلام– بربه–جلَّ وعلا– حين ناجاه قائلًا: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [**يوسف**:٣٣] .

- **النوع الثاني:" الصبر لله:**

وهو أن يكون الْبَاعِثُ لَهُ على الصبرِ مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَإِرَادَةَ وَجْهِهِ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ" (٢)، ومثال ذلك : صبر يوسف–عليه السلام–فقد كان صبره صبر اختيار وإيثار ومحبة.

ويظهر ذلك: من خلال اختياره–عليه السلام– دخول السجن على الوقوع فيما يغضب الله–عز وجل–، حيث آثر –عليه السلام–وجه الله–تعالى– ومحبته ورضاه–جل جلاله– حتى ولو كان في ذلك تقييدًا لحريته بدخول السجن، فقال مناجيًا ربه–عز وجل–:

---

(١) **ينظر**: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٥٦).

(٢) **ينظر**: المصدر السابق (٢/ ١٥٧).

﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣].

- **النوع الثالث: "الصبر مع الله:**

وَهُوَ دَوَرَانُ الْعَبْدِ مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها، مقيما بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها، فهذا معنى كونه صابرا مع الله؛ أي قد جعل نفسه وقفًا على أوامره ومحابه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبر الصديقين" [(١)].

أي أن الصبر مع الله غايته: أن يسير العبد في دنياه وفق مراد الله-عز وجل-، فيتبع أوامره، ويجتنب نواهيه، فهو صابر مع مراد الله-جل جلاله-أينما حل وارتحل.

وهذا كان واضحًا في قصة يوسف الصديق-عليه السلام-، حيث سار مع مراد الله-عز وجل-طيلة حياته، فعندما تعرض لفتنة امرأة العزيز لم يكن منه إلا الصبر عن معصية الله-عز وجل-، ثم إنه بعد دخوله السجن ومكثه فيه سنين طويلة كان صابرًا على طاعة الله-عز وجل- حيث عكف على دعوة السجناء إلى وحدانية الله-تعالى-ونبذ الشرك، ثم لما صار عزيز مصر سار أيضًا وفق مراد الله-عز وجل-، فكان جديرًا بتحمل أعباء هذا المنصب، وكان حفيظًا أمينًا على خزائن الأرض.

هكذا كان صبره-عليه السلام- مع مراد الله، ممتثلًا أوامره ومحابه، مجتنبًا نواهيه ومحارمه.

- **<u>الوقفة الثالثة:</u>**

إن الناظر والمتأمل في أحداث سورة يوسف-عليه السلام- يجد أنها اشتملت على كل أنواع الابتلاءات التي ذُكِرت في قول الله-تبارك وتعالى- في سورة البقـــرة: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ﴾.

(١) **ينظر**: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٥٧).

حيث تعرض نبي الله-تعالى- يعقوب-عليه السلام- إلى كل تلك الابتلاءات؛ فقد ابتلي **بخوفه** من فقْدِ ولديه يوسف وبنيامين قبل فقدهما، ثم بعد فقدهما كان ابتلاؤه يندرج تحت ما نصت عليه الآية الكريمة **من نقص الأنفس**، ثم لما قَدِمَتْ سنون الجدب كان ابتلاؤه **بالجوع، ونقص من الأموال، والثمرات.**

فلله درك يا نبي الله-تعالى- يعقوب-عليه السلام- لقد واجهتك ابتلاءات كثيرة، كنت فيها متسلحًا بالصبر الجميل، والاستعانة برب العالمين.

***

المطلب الثالث: حسن عاقبة صبر يعقوب-عليه السلام-:

- كان يعقوب-عليه السلام- مثالًا عظيمًا للصبر الجميل؛ فكافئه الله-تعالى- بتفريج كربه وذهاب غمه، ويتضح ذلك من خلال ما صورته لنا سورة يوسف-عليه السلام-، فيما يلي:

١- اجتماعه بيوسف وبنيامين مرة أخرى:

لما أفصح يوسف-عليه السلام- عن نفسه لإخوته طلب منهم أن يأتوه بأبيه، وبأهلهم أجمعين، فقال: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾، فتهيأ يعقوب وخرج مع أهله وولده إلى مصر، ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ [يوسف:٩٩]: أي ضمهما إليه، وأنزلهما عنده.

قال عامة المفسرين: والمراد بأبويه: أباه وخالته، وذلك أن أمه كانت قد ماتت(١).

٢- رجوع بصره إليه:

" ذكر المفسرون أن يوسف-عليه السلام-لما عرّف نفسه إخوته؛ سألهم عن أبيهم، فقالوا: ذهب بصره من الحزن! فعند ذلك أعطاهم قميصَه، وقال لهم: " ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ " [يوسف:٩٣]"(٢).

"وقال المحققون: إنما عرف أن إلقاء ذلك القميص على وجهه يوجب قوة البصر بوحي من الله-تعالى-، أو لعل يوسف-عليه السلام- علم أن أباه صار

(١) **ينظر**: التفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٦٣٥).

(٢) **ينظر**: جامع البيان للطبري (١٦/ ٢٤٨).

أعمى من كثرة البكاء وضيق القلب، فإذا ألقي عليه قميصه فلا بد أن ينشرح صدره، وأن يحصل في قلبه الفرح الشديد، وذلك يقوي الروح، ويزيل الضعف، وحينئذ يقوى بصره" (١).

وبالفعل عندما وصلوا إلى أبيهم ألقوا القميص على وجهه، فعاد بصيرًا، وعادت إليه قوته بعد أن كان ضعيفًا، وسروه بعد أن كان حزينًا، قال -تعالى-:" ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾" [يوسف:٩٦](٢).

٣- **توبة أبنائه:**

وهذا ما حكاه القرآن الكريم عنهم بعدما رأوا حال يوسف -عليه السلام-، ورجوع بصر أبيهم، وقوله لهم عقب ذلك: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ "أي من حياة يوسف، وإنزال الفرج"(٣)، حينها قالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ أي:" سل الله مغفرة ما ارتكبنا في حقك، وحق ابنك، إنا تبنا واعترفنا بخطايانا"(٤)، " ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾".

٤- **ارتفاع مكانته بارتفاع مكانة ابنه يوسف -عليه السلام-:**

وهذا ما نلمحه في هذه الآية الكريمة:" ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾"، "والعرش: هو سرير الملك، أي: أجلس يوسف -عليه السلام- أبويه معه على السرير الذي يجلس عليه، تكريما لهمًا، وإعلاء من شأنهما، وذكر جماعة من المفسرين: أن يوسف- عليه السلام- وحاشيته ووجهاء مصر، عندما بلغهم قدوم يعقوب بأسرته إلى مصر؛ خرجوا جميعًا لاستقبالهم"(٥).

---

(١) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (١٨/ ٥٠٧).
(٢) **ينظر**: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/ ٥٥٥).
(٣) **ينظر**: محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢١٨).
(٤) **ينظر**: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٢/ ١٣٤).
(٥) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٨١)، قصص الأنبياء لابن كثير (١/ ٣٥٣)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٤١٦-٤١٧).

المطلب الرابع: حسن عاقبة صبر يوسف-عليه السلام-:

لقد أحسن الله-تعالى- عاقبة يوسف-عليه السلام- جزاء صبره وتقواه، ومن ذلك:

١- اجتماعه بأبيه يعقوب-عليه السلام-:

قال-تعالى-: " ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾" [يوسف:٩٩].

٢- توبة إخوته، واعترافهم بفضله عليهم:

وذلك حينما عرفهم يوسف-عليه السلام- نفسه قالوا: " ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾".

٣- ظهور الحق ونصرته وتبرئته -عليه السلام- مما اتهم به ظلمًا بشأن امرأة العزيز:

"لما فسر يوسف-عليه السلام- الرؤيا للملك، قام الملك باستدعائه من السجن، فرفض يوسف-عليه السلام- الخروج إلا بعد أن يتم الاستقصاء عن التهمة التي دخل من أجلها السجن؛ لأنه لو خرج، ونال من الملك مرتبة، سيظل الناس ينظرون إليه بعين التهمة، ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاه، فأراد يوسف-عليه السلام-أن تبين براءته، وتتحقق منزلته من العفة والطهارة[1]، وهذا ما حكته السورة الكريمة في الآيات التالية:

" ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠

(١) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٢٥٢).

رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾"

"و ذَكَرَ النِّسَاءَ جُمْلَةً في قوله:" ﴿فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ﴾" ؛ ليدخل فيهن امرأة العزيز مدخل العموم بالتلويح؛ حتى لا يقع عليها تصريح، وذلك حسن عشرة وأدب" (١).

فبرَّأنه النسوة، و" ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾" [يوسف:٥١] ، " أي: لا قليل ولا كثير، فحينئذ زال السبب الذي تتبني عليه التهمة، ولم يبق إلا ما عند امرأة العزيز، فـ ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: ظهر وتبين(٢) ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ في أقواله وأفعاله، ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [يوسف:٥٢]: يحتمل أن مرادها بذلك زوجها أي: ليعلم أني حين أقررت أني راودت يوسف، أني لم أخنه بالغيب، أي: لم يجر منِّي إلا مجرد المراودة، ولم أفسد عليه فراشه، ويحتمل أن المراد بذلك: ليعلم يوسف حين أقررت أني أنا الذي راودته، وأنه صادق أني لم أخنه في حال غيبته عني ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ فإن كل خائن، لا بد أن تعود خيانته ومكره على نفسه، ولا بد أن يتبين أمره" (٣).

هكذا أعلنت امرأة العزيز توبتها، واعترفت بذنبها، وبرأت يوسف-عليه السلام- أمام الجميع مما نُسب إليه ظلمًا وبهتانًا.

---

(١) **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٢٠٧).

(٢) **ينظر**: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢١٨)، **والحَصْحَصَةُ**: بَيان الحق بعد كتمانه. **ينظر**: العين للخليل بن أحمد -(حص) (٣/ ١٤).

(٣) **ينظر**: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٤٠٠).

٤- خروجه من السجن:

بعد أن ظهرت براءة يوسف-عليه السلام- ، وبانت للناس، حينها خرج يوسف -عليه السلام- من السجن مرفوع الرأس، مشهودًا له بالعفة والطهارة والخير.

٥- علو شأنه، وارتفاع منزلته ومكانته، وولايته منصب عزيز مصر:

" لما ثبت للملك براءته مما نسب إليه، وتحقق من أمانته، وفهم صبره وجلده على تحمل المشاق عظمت منزلته عنده، وتيقن حسن خلاله، ونزاهته، قال الملك: " ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾" [يوسف:٥٤]، أي: أجعله خالصًا لنفسي، أي خاصًّا بي لا يشاركني فيه أحد، وهذا كناية عن شدة اتصاله به، والعمل معه"(١).

وهذا القول أيضًا دال على: أن يوسف- عليه السلام- كان قد كلم الملك كلام حكيم أديب، فلما رأى حسن منطقه، وأصالة رأيه؛ رآه أهلًا لثقته، وتقريبه منه(٢).

وقوله: " ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾": أي: ذو مكانة، ومنزلة رفيعة، مؤتمن على كل شيء(٣)، حينها قال له يوسف-عليه السلام-:" ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾"، أي: أرض مصرَ، أي: ولِّني أمرها من الإيراد والصرف، إنى حفيظ لها ممن لا يستحقها، عليم بوجوه التصرّفِ فيها" (٤).

قال-تعالى-:" ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا

(١) **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٢١٠)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/ ٧).
(٢) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/ ٧).
(٣) **ينظر**: روح المعاني للألوسي (٧/ ٦).
(٤) **ينظر**: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٨٦).

مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾، "ومعنى " ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ "، أي: جعلنا له مكانا، وهو عبارة عن كمال قدرته، ونفوذ أمره ونهيه، حتى صار أمر كل شيء يصدر عن رأيه، وصار الناس يعملون على أمره ونهيه، " ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾" أي: ينزل منها حيث أراد، ويتخذه مباءة، مما يدل على كمال قدرته، وكأنه يتصرف في الأرض التي أَمْرُها إلى سلطان مصر، كما يتصرف الرجل في منزله"[1].

الدرس والعبرة:

مما سبق يتضح لنا: أن الله-جل جلاله- يُحسن عاقبة الصابرين، فيكرمهم بالفرج الكبير، والنصر المبين، فهو-سبحانه وتعالى- لا يضيع أجرهم، ولا يخيب رجاءهم، فهو القائل-جل جلاله-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [**يوسف:٩٠**].

وفي هذا يقول ابن الجوزي: "عاقبة الصبر الجميل جميلة" [2].

***

(١) **ينظر**: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣).
(٢) صيد الخاطر (ص: ٤٠٤).

المبحث الثاني: مشاهد لغير الصابرين، وسوء عاقبتهم، كما صورتها سورة يوسف-عليه السلام-:

المطلب الأول: مشاهد لغير الصابرين في سورة يوسف-عليه السلام:

لقد عرضت السورة الكريمة صورًا ومشاهدًا لغير الصابرين، ومن أمثلة ذلك:

١- امرأة العزيز وعدم صبرها عن المعصية:

كان الأولى والأحرى لمثل هذه المرأة أن تصبر عن تلك المعصية، وأن تكبح جماح نفسها وتعفها عن هذا الفعل الذميم، وكيف لا !؟

وهي امرأة محصنة، أي: لها زوج(١).

وهي سيدة في قومها، وزوجة سيدهم.

وهي حرة، ويوسف-عليه السلام- حينئذٍ مملوك.

وقد تربى يوسف-عليه السلام-عندها منذ أن بيع لهم صغيرًا.

فكان حقيق بها أن تنظر إليه نظرة الابن الذي ربته ورعته في صغره.

ولنتذكر سويًّا ما حكاه القرآن الكريم حينما اشتراه زوجها عزيز مصر وهو غلام، قال -تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف:٢١]

أي قال عزيز مصر لامرأته: " أكرمي منزله ومقامه عندك، أو: أكرميه في المطعم والملبس والمقام، وتفقديه بالإحسان؛ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ يعني: إن أردنا بيعه بعناه بربح، أو يكفينا بعض أمورنا ومصالحنا إذا قوي وبلغ، ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ يعني نتبناه، وهذه العبارة توحي بأنهما لم يكن عندهما أولاد" (٢).

لذا؛ كان حري بامرأة العزيز أن تدرك جيدًا أن يوسف-عليه السلام- الذي نشأ وتربي في بيتها غلامًا صغيرًا، إنما هو بمنزلة ابن، أو خادم لها ولزوجها،

---

(١) **ينظر**: جمهرة اللغة لابن دريد- مادة:(حصن) (١/ ٥٤٣).

(٢) **ينظر**: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/ ٥١٩)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٣٣٥).

لكنها لم تراعِ هذا، ولم تصبر على هوى النفس، واستجابت لنداء النفس الأمارة بالسوء.

٢- <u>النسوة وعدم صبرهم عن إمساك ألسنتهن عن إشاعة الفاحشة وفضح الآخرين:</u>

لقد وقع هؤلاء النسوة اللائي تحدثن بشأن امرأة العزيز في جرم كبير، حينما لم يصبرن عن إمساك ألسنتهن في الخوض في مثل هذه الأمور التي لا يليق بأحد أن يتلفظ بها.

"فإن قول هؤلاء النسوة لم يكن غضبةً للحق؛ ولا تعصبًا للفضيلة، ولكنه الرغبة للنِّكاية بامرأة العزيز، وفَضْحًا لها، حيث أردن أن يُنزِلْنَها عن كبريائها، وينشرن فضيحتها، ويصيرنها مُضْغة في الأفواه؛ لأنها راودتْ فتاها وخادمها عن نفسه؛ وهو بالنسبة لها في أدنى منزلة، وتلك فضيحة مزرية مشينة" (١).

وكان الأجدر بهؤلاء النسوة أن يترفعن بأنفسهن عن الخوض في هذا، وأن يلتزمن الصمت.

ولهذا حذرنا الله-عز وجل- من إشاعة الفواحش وإذاعتها في المجتمع، وتوعد من يفعل ذلك بالعقوبة في الدنيا والآخرة.

قال-تعالى-:" ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾" [النور:١٩] " هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها، فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها، لا نصيحة منهم، ولكن طاعة لإبليس ونيابة عنه!؟ "(٢)، "والمراد: إشاعة الفاحشة على المؤمن المستتر فيما وقع منه، أو اتُّهِمَ به وهو بريء منه، كما في قصة الإفك" (٣).

<u>يقول ابن القيم:</u> " وذنوب هذا- ولو بلغت عنان السماء- هي أهون عند الله من ذنوب هؤلاء، فإنها ظلم منه لنفسه، إذا استغفر الله وتاب إليه، قبل الله توبته، وبدّل سيئاته حسنات، وأما ذنوب أولئك: فظلم للمؤمنين،

(١) **ينظر**: تفسير الشعراوي (١١/ ٦٩٢٨).

(٢) **ينظر**: تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٦٧٦).

(٣) **ينظر**: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٩٢).

وتتبع لعوراتهم، وقصد لفضيحتهم، والله سبحانه بالمرصاد، لا تخفى عليه كمائن الصدر، ودسائس النفوس" [١].

هذا، وقد حثنا ديننا الحنيف بآداب عظيمة، وتوجيهات سامية يتحقق بها مجتمع الأخوة الإسلامية، وتسود بها قيم التآلف والتحاب، فقد أمر الله-تعالى- عباده المؤمنين إذا سمعوا مؤمنًا يُقذف بسوء لا يعرف به بأمور:

أحدها: إحسان الظن بالمقذوف، بأن يُظن به خيرًا وبعدًا عن التهمة، قال-تعالى-: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:١٢]، أي: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم.

وثانيها: دفع التهمة عنه باللسان، فيلزم سامع الإفك أن يذب عن عرض أخيه، وأن ينكر على المتكلم، وهذا قدر زائد على الأمر الأول المقتصر على العمل القلبي، ودليله أيضًا قوله-تعالى-: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور:١٢].

وثالثها: عدم التحدث بالأمر المذكور؛ لقوله -تعالى- : ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور:١٦]، ولقوله-ﷻ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[النور:١٩].

فإن التخلق بهذه الآداب الفاضلة شأنه أن يقطع دابر الفتنة وأن يدرأ أسباب العداوة، وأن يقطع الطريق أمام المغرضين الساعين بين المؤمنين بالفساد والإفساد [٢].

٣- إخوة يوسف وعدم صبرهم عن إمساك ألسنتهن عن فحش القول النابع من الحقد والحسد والبغض:

وذلك حين رموا أخاهم يوسف-عليه السلام- بالسرقة، وهم يعلمون أنه منها بريء، حيث دفعهم بغضهم وحسدهم ليوسف-عليه السلام- إلى عدم صبرهم على إمساك ألسنتهم في موطنٍ زينه الشيطان لهم أنه موطن انتصار

(١) **ينظر**: تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٦٧٦).

(٢) **ينظر**: مجلة البحوث الإسلامية (٨٧/ ٣١٤).

لأنفسهم، وإظهار أنها الأفضل والأصلح والأتقى، فمبجرد أن سنحت لهم الفرصة، **أسرعوا بإساءة القول فيه، ورميه بالتهم والخطايا** التي يعلمون جيدًا أنه منها براء، وذلك قولهم حينما وُجِد الصواع في رحل بنيامين: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يوسف:٧٧].

قال ابن عاشور: " إنما قالوا: ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾؛ بهتانا ونفيًا للمعرة عن أنفسهم، وليس ليوسف- عليه السلام- سرقة من قبل" [(١)]، " ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾ [يوسف:٧٧]، أي: منزلة، حيث سرَّقتم أخاكم من أبيكم، ثم طفقتم تفترون على البريء، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ أي: من أمر يوسف" [(٢)].

الدرس والعبرة:

أيها المسلم: لا يحملنك كرهك لأحد وبغضك له أن تتلفظ بكلام فاحش بذيء في حقه؛ لمجرد إرضاء نفسك، وإلصاق القبيح بغيرك، وصرفه ونفيه عنك؛ لتظهر أنك الأفضل والأحسن، وغيرك سيء دنيء، ويزداد الأمر سوءًا إذا كان ما يُتكلَّمُ به محض افتراء، وكذب، وتشنيع بالآخرين.

ولذلك؛ فإن صبر المسلم على إمساك لسانه عن كل ما لايليق هو من الأمور التي وصى بها النبي-ﷺ- حيث قال: "« أَمْلِك عليك لسانك»"[(٣)]، أي: احفظه عما لا خير فيه، ولا تَجُرُّهُ إلا بما يكونُ لك لا عليك[(٤)]، وقَالَ رَسُولُ اللَّه-ﷺ-: " « وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»"[(٥)].

---

(١) **ينظر**: التحرير والتنوير (١٣/ ٣٤).

(٢) **ينظر**: محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٠٥).

(٣) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه، كتاب اللسان، باب ما جاء في حفظ اللسان (٤/ ٦٠٥) حديث:(٢٤٠٦)، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ:" «امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»: قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»".

(٤) **ينظر**: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لعبد الرحمن المباركفوري (٧/ ٧٤).

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، بَابٌ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ =

٤- إخوة يوسف وعدم صبرهم على قدر الله-ﷻ- حيث جعل قلب أبيهم يميل إلى حب أخيهم يوسف-عليه السلام- أكثر منهم:

لقد صنف العلماء الصبر إلى ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على أقدار الله-ﷻ-(١).

وإن ميل يعقوب-عليه السلام- إلى يوسف-عليه السلام- وحبه له أكثر من حبه لإخوته إنما كان من أقدار الله-تعالى- التي كان ينبغي لإخوة يوسف-عليه السلام- أن يصبروا عليها، فالميل القلبي أمر لا يملكه الإنسان، ولذلك قال-ﷺ-في العدل بين نسائه: "« اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي، فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ، وَلَا أَمْلِكُ »" يعني: القلب(٢).

لكن إخوة يوسف-عليه السلام-لم يصبروا على حب أبيهم ليوسف-عليه السلام-، ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ وقد ذكر الخازن أن إخوة يوسف " إنما قالوا هذه المقالة حسدًا منهم ليوسف

=

بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ (٨/ ١١) حديث:(٦٠١٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-:" «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» "، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، بَابُ: الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ (١/ ٦٨) حديث:(٤٧) بلفظ: "«مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»".

(١) **ينظر**: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٥)، مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٥٦).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب: النكاح، باب: في القسم بين النساء (٢/ ٢٤٢) حديث: (٢١٣٤) عن عائشة-رضي الله عنها-، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب النكاح، باب: وأما حديث سالم(٢/ ٢٠٤) حديث:(٢٧٦١)، **قال الحاكم**: "هذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " ، **وقال الذهبي**: "على شرط مسلم".

وأخيه؛ لما رأوا من ميل يعقوب-عليه السلام- إليه، وكثرة شفقته عليه، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ يعني: لفي خطأ بيِّن في إيثاره حب يوسف-عليه السلام- علينا مع صغره لا نفع فيه، ونحن عصبة: أي جماعة أكبر منه سنًّا وأشد قوة، ننفعه، ونقوم بمصالحه من أمر دنياه، وغاب عنهم المقصود الأعظم: وهو أن يعقوب-عليه السلام- ما فضَّل يوسف وأخاه على سائر الإخوة إلا في المحبة المحضة، **ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها**" [1].

٥- **<u>إخوة يوسف-عليه السلام- وعدم صبرهم على قدر الله في تفضيله-عز وجل- ليوسف-عليه السلام- عليهم بما كان يظهر عليه من علامات النجابة والصلاح في صغره؛ الأمر الذي زاد من حب يعقوب-عليه السلام- له.</u>**

وكان الجدير بهؤلاء الإخوة أن يتقبلوا هذا الأمر، **<u>ويعلموا أنه من أقدرا الله-تعالى- التي ينبغي الصبر عليها</u>**، فله-تعالى- أن يصطفي ويُعلي قدر من يشاء، ويؤثر من يشاء على من يشاء من عباده، وهذا ما أقر به إخوة يوسف-عليه السلام- له في نهاية السورة الكريمة حينما أعلنوا توبتهم قائلين: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ " أي: نقسم بالله- تعالى- لقد اختارك الله- عز وجل- لرسالته، وفضلك علينا بالتقوى وبالصبر وِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْحُكْمِ وَالْعَقْلِ وَالْمُلْكِ وبكل الصفات الكريمة، أما نحن فكُنَّا خاطِئِينَ، لم نتق ولم نصبر، وفعلنا بك ما فعلنا"[2].

---

(١) **ينظر**: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/ ٥١٤).

(٢) **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٢٥٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢١٤)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٤١٣).

المطلب الثاني: سوء عاقبة غير الصابرين من خلال سورة يوسف:

عرضت سورة يوسف-عليه السلام- صورًا عديدة لما آل إليه حال غير الصابرين فيها من سوء العاقبة، ووبال المآل، وفساد الحال، ومن ذلك ما يلي:

١- **سوء عاقبة عدم صبر امرأة العزيز عن المعصية:**

- إن عدم صبر امرأة العزيز عن المعصية، ودعوتها يوسف-عليه السلام- إلى ارتكاب الفاحشة، كان له من سوء العاقبة ما يلي:

أ- **افتضاح أمرها:**

لما رأى الشاهد قميص يوسف-عليه السلام- قَد قُدَّ من الخلف، حينها انكشف أمر امرأة العزيز.

قال-تعالى-: " ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

وكذلك افتُضِحَ أمرها حينما صارت حديث المدينة آنذاك، قال-تعالى-: " ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ ".

ب-**الذلة والمهانة:**

لا شك أن من صار مفضوحًا بين الخلائق، وبات الناس يتحدثون عن أمره، فإنه لا محالة يشعر بالذل والهوان، لا سيما إن نُسب إليه تلك الفاحشة المهينة، بل ويزداد الأمر سوءًا إن كانت امرأة، وليست كأي امرأة عادية، بل هي سيدة من علية القوم، والأقبح من ذلك أن ينسب إليها تلك المراودة مع خادم لها.

ج- الظلم والطغيان:

بعدما راودت امرأة العزيز يوسف-عليه السلام- عن نفسه فاستعصم، ما زادها ذلك إلا طغيانًا وظلمًا، فوقعت في جرم أكبر، حيث توعدته بالسجن والإذلال إن لم يطعها فيما أرادت، فآثر يوسف-عليه السلام- دخول السجن على الوقوع في معصية الله-عز وجل-، فوُضع في السجن إلى أجل غير مسمى، وقد حكى القرآن الكريم ذلك في قوله-تعالى-: " ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾" .

٢- سوء عاقبة عدم صبر النسوة عن إمساك ألسنتهن:

إن عدم صبر النسوة على إمساك ألسنتهن عن الخوض في شأن امرأة العزيز أودى بهم إلى الوقوع في أمرين خطيرين:

أ- الوقوع فيما عيَّرن به امرأة العزيز:

إن عدم صبر النسوة في المدينة عن إمساك ألسنتهن، وإطلاقها في غيبة امرأة العزيز حين طفقن يعايرنها بفعلها المراودة؛ لا إنكارًا للمنكر، ولا انتصارًا للفضيلة؛ بل لغرض فضحها والشماتة بها، فدفعوها بذلك أن تكيد لهن كيدًا، فاستدعتهن لبيتها، وحدث ما حدث من تقطيع أيديهن اندهاشًا وذهولًا لما رأين من حسن يوسف-عليه السلام- وجماله.

وذكر المفسرون أنهن عندئذ دعونه أن يستجيب لامرأة العزيز في الوقوع في الفاحشة، فصرن جميعًا مع امرأة العزيز مشتركات في دعوته إلى الفاحشة، وهذا ما يشير إليه قول يوسف-عليه السلام:" ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾" فقد جمع امرأة العزيز مع النسوة، فقال: ﴿يَدْعُونَنِىٓ﴾ ؛ لذا قال السعدي : "وهذا يدل على أن النسوة، جعلن يشرن على يوسف-عليه السلام- في مطاوعة سيدته، وجعلن يكدنه

في ذلك، فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد" [١].

بل إن من المفسرين من ذكر أن النسوة كذلك راودن يوسف-عليه السلام- عن نفسه:

وفي هذا المعنى يقول الشعراوي: "أما النِّسْوة اللاتي سَمِعْنَها؛ فقد طمعتْ كل منهن أن تطرد امرأةُ العزيزِ يوسفَ-عليه السلام- من القصر؛ حتى تنفرد أي منهن به، ولعل أكثر من واحدة منهن قد نظرت إليه في محاولة لاستمالته، وقد تكون إشارات عُيونهن قد دَلَّتْ يوسف على المراد الذي تطلبه كل واحدة منهن"[٢]؛ ولذا عبر يوسف-عليه السلام- بصيغة الجمع في قوله: " ﴿يَدۡعُونَنِيٓ﴾" و " ﴿كَيۡدَهُنَّ﴾".

الدرس والعبرة:

ينبغي على كل مسلم أن يصبر على إمساك لسانه، فلا يعير أحدًا بذنب وقع فيه؛ لعله يتوب إلى الله-تعالى- منه، ويقع الآخر الذي عيَّر في الذنب نفسه؛ عقوبة من الله-عز وجل-له.

وقد نهانا النبي-صلى الله عليه وسلم- عن لوم وتعيير المذنبين حتى ولو كانوا أصحاب كبائر، قال-صلى الله عليه وسلم-: "«إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ، فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا، فَلْيَجْلِدْهَا، وَلاَ يُثَرِّبْ»[٣]، أي ولا يُعَيِّر.

والمسلم الحق يستر الآخرين ولا يفضحهم؛ وقد فرق العلماء بين النصيحة والتعيير، " فالمؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويُعيِّر" [٤].

---

(١) **ينظر**: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٣٩٧).

(٢) **ينظر**: تفسير الشعراوي (١١/ ٦٩٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: بيع العبد الزاني (٣/ ٧١) حديث:(٢١٥٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-مرفوعًا، وتمامه:"«إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا وَلاَ يُثَرِّبْ، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَلْيَجْلِدْهَا، وَلاَ يُثَرِّبْ، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ، فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ»".

(٤) نُسب هذا القول للفضيل بن عياض، **ينظر**: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي(١/ ٢٢٥).

ولهذا؛ حثنا الشرع الحنيف على ستر المسلمين، ورغب في ذلك ترغيبًا عظيمًا، فقال-ﷺ-: "«وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...»"(١)، " ومعنى قوله: « وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا»: أي: رآه على قبيح فلم يظهره، أي: للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه"(٢).

ب-<u>التسبب في مجاهرة امرأة العزيز بالمعصية، وإصرارها عليها، وازديادها فجورًا وطغيانًا:</u>

وهذا ما أشارت إليه السورة الكريمة، حينماعلمت امرأة العزيز بكلام النسوة، ودعتهن إلى بيتها، ثم رأت ما كان منهن من تقطيع الأيدي؛ لذهولهن من فرط جمال يوسف-عليه السلام-." هنا شعرت امرأة العزيز بانتصارها عليهن، **فقالت لهن على سبيل التفاخر والتشفي، وبدون استحياء أو تلميح:** ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢]، أى: فذلك هو الملك الكريم الذي لمتنني في حبى له، وقلتن ما قلتن في شأنى لافتتاني به، فالآن قد علمتن أنى معذورة، بعد ما أصابكن ما أصابكن من رؤيته، **ثم جاهرت امرأة العزيز أمامهن بأنها أغرته بمواقعتها بشتى الطرق، فامتنع ولم يستجب، ثم قالت أمامهن كذلك بكل تبجح واستهتار وتهديد: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾، فأنا سيدته الآمرة الناهية لا غيري"(٣).**

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر(٤/ ٢٠٧٤) حديث: (٢٦٩٩) بلفظه، وجزء من حديث أخرجه البخاري، كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ (٣/ ١٢٨) حديث: (٢٤٤٢) بلفظ: "« ... وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ...»"، وباللفظ نفسه أيضًا عند مسلم في صحيحه، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ (٤/ ١٩٩٦) حديث: (٢٥٨٠).

(٢) قاله ابن حجر في فتح الباري (٥/ ٩٧).

(٣) **ينظر**: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٣٥٤).

فبعد أن باتت امرأة العزيز تستر ما كان منها في شأن يوسف–عليه السلام– ، أصبحت تعلنه أمام النسوة بعد أن علمت بحديثهن عنها، وفضحهن إياها، فكأنما خلعت ثوب الحياء تمامًا؛ حينما صرحت بجرمها أمامهن، وأكدت على إصرارها عليه، وهددت يوسف–عليه السلام– بالسجن إن امتنع عن طاعتها.

الدرس والعبرة:

إن كشف ستر الآخرين له مفاسد كبيرة، منها: **أنه يجعل الآخر إما أن يتمادى في الإصرار على ذنبه،** ويجاهر به دون استحياء، ولسان حاله يقول: إنه لاجدوى لي من الاستتار، فقد علم الناس بأمري، وانكشف حالي، فيتمادى في غيه وضلاله، بعد أن كان يفعله مستترًا خائفًا وجلًا، ربما كان يرجو التوبة منه، **وإما أن يجعل الآخر يشعر بالذلة والخزي والهوان،** ويؤثر ذلك بالسلب على حياته وعلى علاقته بالمجتمع حتى ولو تاب.

لذا؛ فإن الصبر على إمساك اللسان عن فضح الآخرين، والخوض في أعراضهم، وكشف سترهم من الأمور الجليلة التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم.

٣- **سوء عاقبة عدم صبر إخوة يوسف:**

إن المتأمل في السورة الكريمة يجد أن عدم صبر إخوة يوسف–عليه السلام– على قدر الله–عز وجل– بأن جعل قلب أبيهم يميل إلى حب أخيهم أكثر منهم، كان عاقبته وخيمة، حيث أدى بهم إلى الوقوع في مفاسد كبيرة، منها:

أ- **الوقوع في جرم كبير، وهو عقوق أبيهم:**

ويظهر ذلك من خلال كذبهم عليه وحرمانهم له من يوسف–عليه السلام–، وتسببهم في حزنه الكبير الذي عاش فيه طيلة فترة غياب يوسف–عليه السلام– عنه، وما آل إليه حاله من الضعف، وبياض عينيه.

ب-**الوقوع في ذنب عظيم، وهو قطيعة الرحم:**

حيث إنه بارتكاب إخوة يوسف–عليه السلام– جريمتهم البشعة حين رموه في البئر، فإنهم وقعوا في ذنب عظيم، وهو قطيعة الرحم التي تستوجب قطع رحمة الله–تعالى– عن القاطع لرحمه.

ففي الحديث الشريف، عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ-ﷺ- قَالَ: "« إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ[1] مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ-عز وجل-: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ »" [2].

ج- <u>مرض القلوب واعتلالها بداء الحسد وغيره:</u>

إن عدم صبر هؤلاء الإخوة على ما قدر الله-عز وجل- من تفضيل يوسف-عليه السلام- عليهم، حيث خصه بحسن الخصال وهو في صغره، فصار محببًا إلى قلب أبيه-عليه السلام- عنهم، أوقعهم في الحسد، والحقد، وورثهم البغضاء، والكراهية، وما ترتب على ذلك من جرائم ومفاسد وقعوا فيها، بداية من رميه في الجب، إلى وقوعهم في فحش القول حيث نعتوه بالسرقة افتراءً عليه.

د- <u>انكشاف أمرهم في النهاية أمام الجميع:</u>

فقد أوحى الله-تعالى-إلى يوسف-عليه السلام- حين هَمَّ إخوته بإلقاءه في الجب، بأنه سيأتي يوم يخبرهم فيه بصنيعهم به، وهو في حال لا يعرفونه فيه، قال -تعالى-: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾، وتحقق وعد الله-تعالى- ليوسف، فبعد أن صار عزيز مصر عرف إخوته لما جاؤا يمتارون منه، ثم أخبرهم بصنيعهم، فانكشف أمرهم، وعلم أبيهم بفعلتهم.

---

(١) «الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحمن»: " أَيْ قَرَابةٌ مُشْتَبِكة كاشْتِباك العُرُوق، شبَّهه بِذَلِكَ؛ مَجَازًا واتْسَاعا، وأصلُ الشُّجْنَة بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ: شُعْبة فِي غُصْن مِنْ غُصُون الشَّجَرَة، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: الْحَدِيثُ ذُو شُجُون، أَيْ ذُو شُعَب وامتساكٍ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ".

-وَقَوْلُهُ: «منَ الرَّحْمَن»، "أَيْ: أُخِذَ اسْمُهَا مِنْ هَذَا الِاسْمِ". **ينظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير أبي السعادات(٢/ ٤٤٧)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيح، كتاب: الأدب، باب: مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ اللَّهُ (٨/ ٦) حديث:(٥٩٨٨).

قال-تعالى- على لسان يوسف-عليه السلام-:" ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾".

الدرس والعبرة:

على المرء أن يفطن إلى أن عدم صبره على أمر واحد قد يوقعه في معاصٍ كثيرة مركبة، أو متتابعة، يجر بعضها بعضًا، حتى تودي به إلى فساد في الدين والدنيا.

فليحذر المسلم من البدايات، ويستعين بالله-تعالى- على الصبر في كل ما يعرض له من أمور تستلزم الصبر، ومنع النفس، وإمساكها عما لا يرضي الله-عز وجل-، فإن لم يفعل؛ فلينتظر حتمًا النهايات المشينة، والعواقب الوخيمة .

المبحث الثالث:الأمور المعينة على الصبر، والمصاحبة له كما صورتها سورة يوسف-عليه السلام-:

المطلب الأول: الأمور المعينة على الصبر:

من خلال النظر والتأمل في السورة الكريمة: فإننا نضع أيدينا على بعض الأمور التي أعانت الصابرين على صبرهم، وبعض الأمور الأخرى التي كانت ستعين غير الصابرين على الصبر لو كانوا التفتوا إليها، وألقوا لها بالًا.

أولًا: أمور التي أعانت يعقوب ويوسف-عليهما السلام- على الصبر-:

١- الاستعانة بالله-تعالى-والاستعصام به عند الابتلاءات والفتن:

وهذا متمثل في قول يعقوب-عليه السلام-: " ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾"

ومتمثل في لجوء يوسف-عليه السلام- لربه-عز وجل- أن يصرف عنه كيد النسوة، حين قال:" ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾".

٢- تذكر نعم الله-عز وجل-:

وهذا واضح في قول يوسف-عليه السلام-لامرأة العزيز حين دعته للفاحشة " ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾"، فقد ذكر القاسمي أن هذا القول من يوسف-عليه السلام-: " تعليل للامتناع ببعض الأسباب الخارجية" [(١)].

والضمير في قوله ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾: يجوز أن يعود إلى: عزيز مصر، ويجوز أن يعود إلى: الله-تعالى-، وعلى الثاني يكون المعنى: " أنه طلب المعونة من الله، فقال معاذ الله-تعالى- أن أفعل الفاحشة والمنكر، وهو سبحانه مَنْ أنجاني من الجُبِّ؛ وهيَّأ لي أفضل مكان في مصر، لأحيا فيه، ومنحني العلم والحكمة، **فكيف أستقبل كل هذه النعم وكل هذا الكرم بالمعصية؟!**[(٢)] .

فعلى كل مسلم أن يصبر نفسه عن معصية الله-عز وجل-، وليتذكر دومًا نعم الله -جل جلاله- عليه، ولسان حاله يقول: كيف أعصي الله -تعالى-

---

(١) محاسن التأويل (٦/ ١٦٥).

(٢) **ينظر**: تفسير الشعراوي (١١/ ٦٩٠٩)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٣٣٩).

بنعمه؟!، مما يكون ذلك دافعًا له إلى الصبر، ورادعًا له عن الوقوع فيما حرم الله-ﷻ-.

٣- حسن الظن بالله-ﷻ-:

لقد ضرب لنا يعقوب-عليه السلام- في ذلك أروع المثل، فكلما اشتد بلاؤه، قوي صبره، وزاد حسن ظنه بربه، وارتفع أمله في تفريج الكرب وإزالة الغمة، فها هو عند فقد ابنه الثاني بنيامين المحبب إلى قلبه، يأمر أبناءه أن يذهبوا إلى مصر باحثين عن يوسف وأخيه، وكأن هذا الأمر أصاب أبناءه بالذهول والاندهاش، لكونهم يدركون في قرارة أنفسهم أنه محال أن يجدوا يوسف-عليه السلام- مرة أخرى بعد رميه في البئر، ومرور كل تلك السنوات الطوال، فكأن أباهم يعقوب-عليه السلام- أحس منهم ذلك اليأس، فأراد أن يعلمهم درسًا في الأمل والتفاؤل والرجاء وحسن الظن بالله-تعالى-، حيث قال لهم: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾.

ويظهر ذلك أيضًا في قول يعقوب-عليه السلام-: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ [يوسف:٨٣] يعني بيوسف وبنيامين، والأخ الثالث الذي أقام بمصر.

قال الخازن:" وإنما قال يعقوب هذه المقالة؛ لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته، علم أن الله-تعالى- سيجعل له فرجًا ومخرجًا عن قريب، فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله -ﷻ-؛ لأنه إذا اشتد البلاء، وعظم كان أسرع إلى الفرج"(١).

وهذا يوسف-عليه السلام- كما تصوره السورة الكريمة فإنه مع عظيم بلائه، وشدة صبره، يحيا بروح الأمل واليقين بالله-تعالى-، حتى صار استشعاره بالفرج آت لا محالة؛ لأن قلبه قد مُلِئَ بحسن ظنه بمولاه-ﷻ-، فعلم يقينًا أن الله-تعالى- لن يضيعه، وهذا ما نتلمسه مما صورته لنا السورة الكريمة، حين قال لإخوته بعد أن عرفهم-نفسه، فعرفوا فضله عليهم،

(١) **ينظر**: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/ ٥٤٨).

وإيثار الله-تعالى- له عليهم: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾، وكأن يوسف-عليه السلام- قد جعل يقينه بالله -تعالى-، وحسن ظنه به-عز وجل- بأنه لا يضيع أجر المحسنين شعارًا لحياته كلما اشتد بلاؤه، فحقق الله-تعالى- حسن ظنه به.

وفي الحديث القدسي عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-قَالَ: "«قَالَ اللَّهُ-عز وجل-: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»" [1] .

ثانيًا: أمور كانت ستعين غير الصابرين في السورة الكريمة على الصبر لو التفتوا إليها، ووضعوها في عين الاعتبار:

- **من الأمور التي كانت ستعين امرأة العزيز على الصبر عن الوقوع فيما وقعت فيه:**

١- مراقبة الله-عز وجل-:

كان عليها أن تستشعر مراقبة الله-تعالى- لها في كل موضع، حتى ولو غلقت الأبواب كلها.

٢- غض البصر:

لقد أمر الله الرجال والنساء بغض البصر، فغض البصر يحفظ المرء من الوقوع في تلك المحرمات، فكان ينبغي على امرأة العزيز أن تغض بصرها عن يوسف-عليه السلام-.

قال-تعالى-: " ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾" .

ومعنى **(أَزْكَى لَهُمْ)**: أي أزكى لقلوبهم، وأطهر لنفوسهم من التلبس بهذه الدنيئة، وأنفع لهم في دنياهم وآخرتهم[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: التَّوْحِيدِ، بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ-تَعَالَى-: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح:١٥] (٩/ ١٤٥) حديث: (٧٥٠٥).

(٢) **ينظر**: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٧)، التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ١١٥).

٣- الاستغناء بالحلال:

كانت امرأة العزيز امرأة متزوجة، فكان حقيق بها أن تستغنى بالحلال عن الحرام.

٤- الابتعاد عن مواطن وإثارة الشهوات:

فهذه واحدة من الأمور المهمة التي تعين على اجتناب المعاصي والوقوع في المحرمات، فكان الأَوْلى بامرأة العزيز أن تجعل يوسف يعمل في مكان ما في القصر يكون بعيدًا عنها، ولا تترد عليه، أو حتى تبعده عن العمل في القصر بالكلية.

- **<u>ومن الأمور التي كانت ستعين إخوة يوسف-عليه السلام- على الصبر على حب أبيهم الكبير لأخيهم:</u>**

١- **إدراك أن القلوب بيد الله-تعالى-:** فإنهم إن أدركوا ذلك ووضعوه نصب أعينهم؛ لكان هذا سببًا في انطفاء نار الغيرة والحسد في قلوبهم.

٢- **الاجتهاد في بر والدهم:** وذلك من خلال توددهم إلى أبيهم، وتلطفهم به، والإحسان في معاملته، ومراعاة مصالحه، ومن خلال تقربهم أيضًا لأخيهم يوسف-عليه السلام-، وملاطفته، فلا شك أن هذا كله من أمارات الصلاح والتقوى، مما سيكون له الأثر الكبير في زيادة حب أبيهم لهم كذلك.

أي أنه كان لزامًا عليهم أن يطهروا قلوبهم، ويصلحوا أعمالهم.

فإن المتأمل في بداية السورة الكريمة يدرك أن إخوة يوسف كان يظهر عليهم علامات الغيرة والحقد والحسد واحتمالية صدور الأفعال السيئة منهم، التي تجعل قلب أبيهم ينصرف عنهم بسبب سوء فعالهم؛ بدليل نصيحة يعقوب ليوسف-عليهما السلام-ألا يقص رؤيته على إخوته خشية كيدهم له، حيث قال: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ ومعنى: ﴿**فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا**﴾:"أي: يحتالوا لضرك، أو لإهلاكك احتيالًا عظيمًا متلفًا لك"(١).

(١) **ينظر**: روح المعاني للألوسي (٦/ ٣٧٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ١٤٧).

المطلب الثاني: أمور مصاحبة للصبر:

أشارت السورة الكريمة إلى أمور صاحبت صبر يعقوب ويوسف- عليهما السلام-خلال ما تعرضا إليه من ابتلاءات شتى، هذه الأمور يجدر بالمسلم ملازمتها مع الصبر، وهي:

١- الدعاء والرجاء:

صبر المسلم على الابتلاءات ليس معناه الاستسلام لها، والوقوف عندها، بل عليه أن يلزم الدعاء لكف الضر، وتفريج الهم والغم.

- وهذا واضح في حكاية القرآن الكريم لما قاله يعقوب-عليه السلام- حينما فقد ابنه بنيامين، والذي جدد في قلبه حزنه على فقد يوسف-عليه السلام-:" ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ "فقد تَرَجَّى يعقوب-عليه السلام- من الله أن يَرُدَّ عليه أولاده[1]، ثم قال:" ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ،أي العليم بحالي، واحتياجي إلى تفريجه ومنَّته، الْحَكِيمُ الذي جعل لكل أمر منتهى، بحسب ما تقتضيه حكمته- تعالى"[2].
- ومن ذلك أيضًا قول يعقوب-عليه السلام-: " ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤] ، فإنه يدل على أنه اتجه إلى الله-عز وجل- بالدعاء؛ ليُزِيلَ أَسَفَهُ بِرَدِّ يُوسُفَ- عليه السلام-إِلَيْهِ" [3].
- ويظهر التجاؤه إلى الله-تعالى- بالدعاء أيضًا في قوله:" ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ ".
- وكذلك كان هذا حال يوسف-عليه السلام- عند تعرضه لفتنة امرأة العزيز، فقد لجأ إلى الله-عز وجل- وتوجه إليه بالدعاء، قائلًا:" ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾" .

---

(١) **ينظر**: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٠٤).

(٢) **ينظر**: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٤٠٤).

(٣) **ينظر**: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/ ٤٤).

٢-السعي في كشف الضر، وتفريج الكرب، وإزالة الابتلاء:

وهذا واضح في طلب يعقوب-عليه السلام- من أبنائه العودة إلى مصر للبحث عن يوسف وبنيامين، فقال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، والتحسس: هو البحث، وشدة التعرف والطلب[١].

فإن يعقوب-عليه السلام-، مع صبره على البلاء، ودعائه الله-عز وجل- أن يزيح عنه هذا الهم والغم، إلا أنه لم يمنعه ذلك من السعي في سلوك الأسباب التي تعين على رفع هذا البلاء.

فالأخذ بالأسباب من السنن الربانية التي حثنا على مراعاتها شرعنا الحنيف.

فائدة:

من خلال التأمل في سورة يوسف-عليه السلام- نجد أنها أشارت إلى مشاعر إنسانية تعتلج من وقع في الابتلاءات والمصائب، ومع ذلك فظهورها وصدورها من المبتلى لا ينافي كونه صبورًا، وهي: الحزن والبكاء.

ويتضح ذلك من طول حزن يعقوب-عليه السلام- على فقدان يوسف-عليه السلام-، ثم حزنه على فقدان أخيه بنيامين، حتى أنه من شدة الحزن والبكاء، ضعف جسده، وابيضت عيناه، وهذا ما صورته السورة الكريمة في قوله-تعالى-: " ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾".

ومعنى: ﴿حَرَضًا﴾: مريضًا مُشْفيًا على الهلاك، وقيل: الحَرضُ مَنْ أذابه هم أو مرض[٢].

---

(١) وهناك من فرَّق بين التحسس والتجسس، فقالوا: التحسس في الخير، والتجسس في الشر، ومنهم من قال: إنهما بمعنى واحد، وهو: التخبر والتبحث. **ينظر**: معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص: ١١٨)، غريب القرآن للسجستاني (ص: ١٤٤)، لسان العرب لابن منظور-مادة:(حسس) (٦/ ٥٠)، التحرير والتنوير لابن عاشور(١٣/ ٤٥).

(٢) **ينظر**: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة:(حرض) (ص: ٢٢٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٣٠٢).

وعلى الرغم من طول حزن يعقوب-عليه السلام-، وشدة بكائه إلا أنه كان متصفًا بالصبر الجميل، وهو الصبر الذي لا جزع ولا شكوى فيه لأحد إلا الله-عز وجل-.

قال الزمخشري: " الشكوى إلى الله -عز وعلا -لا تسمى جزعًا، ولقد قال يعقوب-عليه السلام-: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦] " [(١)]، ودل على ذلك قوله-تعالى-: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾وهو المُمسِك على حزنه فلا يظهره[(٢)].

ولذلك ذكر النسفي" أنه يجوز للنبي-عليه السلام- أن يبلغ به الحزن ذلك المبلغ؛ لأن الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الحزن، فلذلك حُمد صبره، ولقد بكى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-على ولده إبراهيم، وقال: القلب يجزع، والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون[(٣)]، وإنما المذموم الصياح، والنياحة، ولطم الصدور والوجوه، وتمزيق الثياب" [(٤)].

وقال ابن عاشور: " الْبُكَاءَ مِنَ الْحُزْنِ أَمْرٌ جِبِلِّيٌّ، فَلَا يُسْتَغْرَبُ صدوره من نبي"[(٥)]

من هنا نخلص إلى أن: الحزن والبكاء شعور إنساني لا ينافي الصبر.

***

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٩٨).

(٢) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (١٨/ ٤٩٩).

(٣) هذا جزء من رواية أخرجها البخاري في صحيحه، كتب: الجنائز، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» (٢/ ٨٣) حديث: (١٣٠٣) عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- مرفوعًا:« ... إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»، وأخرجها مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، بَابُ رَحْمَتِهِ-صلى الله عليه وسلم-الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ (٤/ ١٨٠٧) حديث:(٢٣١٥) بنحوها.

(٤) **ينظر**: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ١٢٩).

(٥) التحرير والتنوير (١٣/ ٤٣).

هكذا كان الصبر كما صورته سورة يوسف–عليه السلام– ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف:٩٠]، وهذه كانت العبر والدروس المستنبطة من تلك السورة الكريمة التي ستظل على مر الزمان أحسن القصص، ولا يزال القارئ لها يستخرج من أعماقها دررًا متجددة، لا تنتهي عبرها، ولا تنفد أسرارها، تروي ظمأ المكروبين، وتُطَمئن قلوب الحيارى المبتلين، وتشد عضد الصابرين، وتسوق البشرى لهؤلاء ولغيرهم من المتقين المحسنين.

قال الله–عز وجل– في ختام هذه السورة الكريمة:" ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾" .

* * *

الخاتمة

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى، وبعد:

فإن من أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال معايشتي لخلق الصبر كما صورته سورة يوسف-عليه السلام-، ما يلي:

- فضل الصبر وعظيم منزلته عند الله-تعالى-.
- الصبر الجميل هو صبر بلا شكوى لأحد غير الله-تعالى-.
- أن الصبر مفتاح الفرج، فالله-تعالى- يوفي الصابرين أجرهم، ويحسن عاقبتهم.
- أن الحزن والبكاء شعور إنساني لا ينافي الصبر.
- ذكر العلماء أن للصبر أنواع ثلاثة: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على أقدار الله-عز وجل-.
- أن الصبر على المعصية أعظم درجة من الصبر على المقدور؛ لأن الأول صبر اختياري، والثاني اضطراري.
- أن صبر يعقوب-عليه السلام-كان يتسم بالأمل، وحسن الظن بالله-سبحانه وتعالى-، وصبر يوسف-عليه السلام-كان يغلب عليه ملازمته للقوة والعمل.
- عاقبة الصبر الجميل جميلة ورائعة في الدنيا والآخرة، فإنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.
- على المرء المسلم أن يُمسك لسانه عن الخوض فيما يثار من إشاعة الفواحش وفضح الآخرين؛ فمن عير أخاه بذنب، وقع فيه.
- أن سوء العاقبة حتمًا يكون من نصيب غير الصابرين.
- أن الاستعانة بالله-تعالى، وحسن الظن به-عز وجل-، ومراقبته-جل جلاله-، وتذكر نعمه الكثيرة على الإنسان، من الأمور المعينة على الصبر.
- أن السعي في سلوك الأسباب التي تكشف الضر من الأمور التي ينبغي أن تصاحب أهل الصبر، وهي لا تنافي اتصافهم بالصبر على الإطلاق.
- أن عدم الصبر على أقدار الله-تعالى- في الحياة، وحسد الآخرين على ما أنعم الله به عليهم؛ يوقع المرء في التهلكة، ويُفسد عليه دينه ودنياه.

- ينبغي على المؤمن أن يروض نفسه باستمرار على خلق الصبر؛ حتى يتعود عليه.

هذا، وبالله-تعالى- التوفيق والسداد.

وصلَّى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: كتب التفسير وعلوم

١- **أحكام القرآن لابن العربي:** القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.

٢- **أحكام القرآن:** لإلكيا الهراسي الشافعي (ت: ٥٠٤هـ)، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٥ هـ.

٣- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:** لأبي السعود العمادي محمد بن محمد ابن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤- الأساس في التفسير: لسعيد حوّى (ت:١٤٠٩هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط: السادسة، ١٤٢٤هـ.

٥- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط: الأولى–١٤١٨هـ.

٦- **أوضح التفاسير:** لمحمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ – فبراير ١٩٦٤ م .

٧- **البحر المحيط:** لأبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٨- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:** لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث

الإسلامي، القاهرة.عام النشر: (جـ ١، ٢) سنة١٤١٦ هـ ، (ج: ٣) سنة ١٩٩٦ م، (جـ ٤، ٥): ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م/ (جـ ٦): ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٩- **البيان في عدّ آي القرآن:** لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٠- **التحرير والتنوير:** لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

١١- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.

١٢- **التَّفْسِيرُ البَسِيْط:** لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي(ت: ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في ١٥رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٣- **تفسير الجلالين:** لجلال الدين المحلي(ت:٨٦٤هـ)، وجلال الدين السيوطي(ت:٩١١) ، ومعه مختصر في أسباب النزول وفضائل القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٤- **تفسير الشعراوي – الخواطر:** لمحمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م)

١٥- **تفسير القرآن العظيم لابن كثير:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٦- **تفسير القرآن الكريم** : لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ

إبـــراهيم رمضـــان، الناشـــر: دار ومكتبـــة الهـــلال – بيـــروت، ط: الأولى – ١٤١٠ هـ

١٧- **تفســير القــرآن للســمعاني:** لأبــي المظفــر، منصــور بــن محمــد (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٨- **تفسير المنار:** لمحمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

١٩- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم:** للدكتور محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى، تاريخ النشر: الجزء ٧، ٨- ١٩٩٨م.

٢٠- **التفســير الوســيط للواحــدي:** أبــي الحســن علــي بــن أحمــد بــن الواحدي(ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وغيره، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤ م.

٢١- **تفسير مقاتل بن سليمان:** لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٣ هـ.

٢٢- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٣- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٤- **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٢٥- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن:** لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٨هـ.

٢٦- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٧- **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:** لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت:٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، بدون:ط، ١٢٨٥ هـ.

٢٨- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط: الأولى،١٤١٦ هـ.

٢٩- **غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب:** لمحمد بن عُزير السجستاني (ت : ٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر: دار قتيبة – سوريا، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م.

٣٠- **غريب القرآن لابن قتيبة:** أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

٣١- **فتح القدير للشوكاني:** محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب– دمشق، بيروت، ط: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٣٢- **لباب التأويل في معاني التنزيل:** لعلاء الدين علي بن محمد، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٥هـ.

٣٣- **محاسن التأويل للقاسمي:** محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٤- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لأبي محمد عبد الحق بن عطية (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٣٥- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل:** لأبي البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب– بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٣٦- **معالم التنزيل في تفسير القرآن:** لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط : الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٣٧- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير:** لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت:٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة،١٤٢٠ هـ.

٣٨- **المفردات في غريب القرآن:** لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٣٩- **النكت والعيون:** لأبي الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

٤٠- **الهداية إلى بلوغ النهاية:** لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

ثالثًا: كتب الحديث وعلومه

٤١- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:** لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٢- **سنن أبي داود:** لسليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م.

٤٣- **سنن الترمذي:** لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي(ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١،٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٤٤- **صحيح البخاري= جامع الصحيح المختصر:** لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، الناشر دار ابن كثير، اليمامة– بيروت، بدون: ط، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٤٥- **صحيح مسلم=** المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله : لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٦- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** لابن حجر العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز ابن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٧- **المستدرك على الصحيحين:** لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه(ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

رابعًا: كتب المعاجم واللغة

٤٨- **تهذيب اللغة:** لأبي منصور الأزهري، (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

٤٩- **جمهرة اللغة:** لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٧م.

٥٠- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:** لأبي نصر الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٥١- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ:** للسمين الحلبي، شهاب الدين، أحمد ابن يوسف بن عبد الدائم (ت: ٧٥٦ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

٥٢- **كتاب التعريفات:** لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٥٣- **كتاب العين:** لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٥٤- **لسان العرب:** لمحمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ)،الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٥٥- **مجمل اللغة لابن فارس:** أبي الحسين، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٥٦- **المحكم والمحيط الأعظم:** لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٥٧- **معجم الفروق اللغوية:** لأبي هلال الحسن العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

خامسًا: كتب أخرى

٥٨- **إحياء علوم الدين:** لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، بدون:ط.

٥٩- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم:** لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م..

٦٠- **صيد الخاطر:** لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٦١- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين:** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

٦٢- **قصص الأنبياء:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة، ط: الأولى، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م.

٦٣- **مجلة البحوث الإسلامية**– مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد، المملكة العربية

السعودية، العدد: الثلاثون، الإصدار: من ربيع الأول إلى جمادى الثانية لسنة ١٤١١هـ.

٦٤- **مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي:** لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، المحقق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط: جـ ١، ٢/ الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، جـ ٣/ الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، جـ ٤/ الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

٦٥- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٣هـ.

٦٦- **منح الجليل شرح مختصر خليل:** لمحمد بن أحمد بن محمد عليش، أبي عبد الله المالكي (ت: ١٢٩٩هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٦٧- **نكث الهميان في نكت العميان:** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

***

References :

1- 'ahkam alqurani: li'iilkia alharasii alshaafieii (t: 504h), almuhaqiqi: musaa muhamad eali waeizat eabd eatiat, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta: althaaniati, 1405 hi.

2- 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitaab alkarim: li'abi alsueud aleimadii muhamad bin muhamad bin mustafaa (t: 982hi), alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.

3- al'asas fi altafsiri: lisaeid hwwa (t:1409h), alnaashir: dar alsalam - alqahiratu, ta: alsaadisati, 1424hi.

4- 'anwar altanzil wa'asrar altaawili: linasir aldiyn eabd allh bin eumar albaydawi (t: 685hi), tahqiqu: muhamad eabd alrahman almaraeashali, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabi- bayrut, ta: al'uwlaa-1418hi.

5- 'awdah altafasiru: limuhamad muhamad eabd allatif bin alkhatib (t: 1402h), alnaashir: almatbaeat almisriat wamaktabatiha, ta: alsaadisati, ramadan 1383 ha - fibrayir 1964 m .

6- basayir dhawi altamyiz fi litayif alkutaab aleaziza: limajd aldiyn muhamad bin yaequb alfiruzabadaa (t: 817h), tahqiqu: muhamad eali alnajar, alnaashir: almajlis al'aelaa lilshuyuwn al'iislamiat - lajnat 'iihya' alturath al'iislami, alqahirati.eam alnashri: (j 1, 2) sanati1416 hi , (j: 3) sanat 1996 ma, (j 4, 5): 1412 hi - 1992 mi/ (j 6): 1393 hi - 1973 m.

7- albyan fi ed ay alquran: li'abi eamrw aldaanii (t: 444h), tahqiqu: ghanim qaduwri alhamd, alnaashir: markaz

almakhtutat walturath - alkuaytu, ta: al'uwlaa, 1414hi-1994m.

8- altahrir waltanwiru: limuhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur altuwnisi(t : 1393h), alnaashir: aldaar altuwnisiat lilnashr - tunis, 1984 hu.

9- alttafsir albasit: li'abi alhasan eali bin 'ahmad alwahidi(t: 468h), 'asl tahqiqih fi 15risalat dukturat bijamieat al'iimam muhamad bin saeud, alnaashir: eimadat albahth aleilmii - jamieat al'iimam muhamad bin sueud al'iislamiati, ta: al'uwlaa, 1430hi.

10- tafsir aljalalini: lijalal aldiyn almihliy(ta:864hi), wajalal aldiyn alsiyuti(ti:911) , wamaeah mukhtasar fi 'asbab alnuzul wafadayil alqurani, muasasat alrisalat nashirun, ta: al'uwlaa, 1425h-2004m.

11- tafsir alshaerawi - alkhawatiru: limuhamad mutualiy alshaerawi (t: 1418h), alnaashir: mutabie 'akhbar alyawmi, (lays ealaa alkitab al'asl - almatbue - 'ayu bayanat ean raqm altabeat 'aw ghayrihi, ghayr 'ana raqm al'iidae yuadih 'anah nushir eam 1997m)

12- tafsir alquran aleazim liabn kathirin: li'abi alfida' 'iismaeil bin eumar (t: 774hi), tahqiqu: sami bin muhamad salamata, alnaashir: dar tiibat lilnashr waltawzie, ta: althaaniat 1420h - 1999 mi.

13- tafsir alquran alkarim : liabn qiam aljawzia (t: 751h), almuhaqiqi: maktab aldirasat walbuhuth alearabiat wal'iislamiat bi'iishraf alshaykh 'iibrahim ramadan, alnaashir: dar wamaktabat alhilal - bayrut, ta: al'uwlaa - 1410 h

14- tafsir alquran lilsimeani: li'abi almuzafari, mansur bin muhamad (t: 489hi), tahqiqu: yasir bin 'iibrahim waghanim bin eabaas bin ghunim, alnaashir: dar alwatan, alriyad - alsaeudiatu, ta: al'uwlaa, 1418hi-1997m.
15- tafsir almanari: limuhamad rashid bin ealiin rida (t: 1354ha), alnaashir: alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, sanat alnashri: 1990 mi.
16- altafsir alwasit lilquran alkarim: lilduktur muhamad sayid tantawi, alnaashir: dar nahdat misr liltibaeat walnashr waltawzie, alfajaalat - alqahiratu, ta: al'uwlaa, tarikh alnashri: aljuz' 7, 8- 1998m.
17- altafsir alwasit lilwahidi: 'abi alhasan eali bin 'ahmad bin alwahdi(t: 468hi), tahqiqu: alshaykh eadil 'ahmad eabd almawjud, waghayruhu, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan, ta: al'uwlaa, 1415 ha- 1994 mi.
18- taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanani: lieabd alrahman bin nasir bin eabd allah alsaedi (t: 1376h), alnaashir: muasasat alrisalati, ta: al'uwlaa 1420h -2000 mi.
19- jamie albayan ean tawil ay alquran: li'abi jaefar muhamad bin jarir altabarii (t: 310h), tahqiqu: 'ahmad muhamad shakir, alnaashir: muasasat alrisalati, ta: al'uwlaa, 1420h - 2000m.
20- aljamie li'ahkam alqurani: li'abi eabd allh muhamad bin 'ahmad shams aldiyn alqurtibii (t:671hi), tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish, alnaashir: dar

alkutub almisriat - alqahiratu, ta: althaaniati, 1384h - 1964 mi.

21- aljawahir alhasaan fi tafsir alqurani: li'abi zayd eabd alrahman bin muhamad bin makhluf althaealibii (t: 875hi), tahqiqu: muhamad eali mueawad, waeadil 'ahmad eabd almawjud, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, ta: al'uwlaa - 1418hi.

22- ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani: lishihab aldiyn mahmud bin eabd allah alhusayni al'alusi (t: 1270h), alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii bayrut.

23- alsiraj almunir fi al'iieanat ealaa maerifat baed maeani kalam rabina alhakim alkhabiri: lishams aldiyn, muhamad bin 'ahmad alkhatib alshirbini (t:977hi), alnaashir: matbaeat bwlaq (al'amiriti) - alqahirati, bidun:ti, 1285 hi.

24- gharayib alquran waraghayib alfirqan: linizam aldiyn alhasan bin muhamad alqimiy alnaysaburii (t: 850hi), tahqiqa: alshaykh zakariaa eumayrat, alnaashir: dar alkutub alealamayh - bayrut, ta: al'uwlaa,1416 hu.

25- gharib alquran almusamaa binuzhat alqulubi: limuhamad bin euzyr alsajistanii (t : 330hi), tahqiqu: muhamad 'adib eabd alwahid jamran, alnaashir: dar qatibat - suria, ta: al'uwlaa, 1416 hi - 1995m.

26- gharib alquran liabn qutaybata: 'abi muhamad eabd allh bin muslim bn qutaybat aldiynuriu (ta: 276hi), tahqiqu: 'ahmad saqra, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, 1398hi - 1978mi.

27- fath alqadir lilshuwkani: muhamad bin ealii bin muhamad bin eabd allah alshuwkanii alyamanii (t: 1250h), alnaashir: dar abn kathirin, dar alkalm altayibi- dimashqa, bayrut, ta: al'uwlaa - 1414 hi.
28- lbab altaawil fi maeani altanzili: lieala' aldiyn eali bin muhamad, almaeruf bialkhazin (t: 741hu), tahqiqu: tashih muhamad eali shahin, alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut, ta: al'uwlaa - 1415h.
29- mahasin altaawil lilqasimi: muhamad jamal aldiyn bin muhamad saeid alqasimi (t: 1332hi), tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdu, alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut, ta: al'uwlaa - 1418 hi.
30- almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziza: li'abi muhamad eabd alhaqi bin eatia (t: 542hi), tahqiqu: eabd alsalam eabd alshaafi muhamad, alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut, ta: al'uwlaa - 1422 hi.
31- mdarik altanzil wahaqayiq altaawili: li'abi albarakat eabd allah bin 'ahmad hafiz aldiyn alnisfii (t: 710h), haqaqah yusif eali badiwi, alnaashir: dar alkalm altayibi- bayrut, ta: al'uwlaa, 1419 hi - 1998 mi.
32- maealim altanzil fi tafsir alqurani: limuhyi alsanat 'abi muhamad alhusayn bin maseud albaghawii (t: 510hi), tahqiqu: eabd alrazaaq almahdi, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii -birut, t : al'uwlaa, 1420 h.
33- mafatih alghayb = altafsir alkabiru: li'abi eabd allah muhamad bin eumar alraazi almulaqab bifakhr aldiyn alraazii khatib alrayi (t:606hi), alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, ta: althaalithati,1420 ha.

34- almufradat fi gharayb alqurani: li'abi alqasim alhusayn bin muhamad almaeruf bialraaghib al'asfuhanaa (t: 502h), tahqiqu: safwan eadnan aldaawudi, alnaashir: dar alqalami, aldaar alshaamiat - dimashq bayrut, ta: al'uwlaa - 1412 hu.

35- alnukt waleuyun li'abi alhasan ealiin bin muhamad alshahir bialmawardii (t: 450h), tahqiqu: alsayid aibn eabd almaqsud bin eabd alrahim, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut- lubnan.

36- alhidayat 'iilaa bulugh alnihayati: li'abi muhamad mikiy bin 'abi talib hammwsh (t: 437hi), tahqiqu: majmueat rasayil jamieiat bikuliat aldirasat aleulya walbahth aleilmii - jamieat alshaariqat, bi'iishraf 'a. du: alshaahid albushikhi, alnaashir: majmueat buhuth thalthan: kutub alhadith waeulumuhu1-tahifat al'ahwadhi bisharh jamie altirmidhii: li'abi aleula muhamad eabd alrahman bin eabd alrahim almubarikifuraa (t: 1353h), alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut.

2- sinan 'abi dawud: lisulayman bin al'asheath (t: 275hi), tahqiqu: sheayb al'arnawuwt - mhammad kamil qarah bilali, alnaashir: dar alrisalat alealamiati, ta: al'uwlaa, 1430 hi-2009m.

3- sunan altirmidhi: li'abi eisaa, muhamad bin eisaa bn sawrt altirmidhi(ti: 279hi), tahqiq wataeliq:'ahmad muhamad shakir (ja 1,2), wamuhamad fuaad eabd albaqi (ja 3), wa'iibrahim eutwat eiwad almudaris fi al'azhar alsharif (j 4, 5), alnaashir: sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalabii - masr, ta:

althaaniati, 1395 hi - 1975 mi.

4- sahih albukhari= jamie alsahih almukhtasar: limuhamad bin 'iismaeil 'abi eabd allah albukharii aljaeafi, tahqiq du. mustafaa dib albugha, alnaashir dar aibn kathir, alyamamati- bayrut, bidun: ta, 1407h - 1987m.

5- sahih muslmi= almusnad alsahih almukhtasar binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allah : limuslim bin alhajaaj alnaysaburii (t:261h), tahqiqu: muhamad fuad eabd albaqi, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.

6- fath albari sharh sahih albukhari: liabn hajar aleasqalanii alshaafieii (tt: 852ha), raqm kutubih wa'abwabih wa'ahadithihi: muhamad fuad eabd albaqi, qam bi'iikhrajih wasahhih wa'ashraf ealaa tabeihi: muhibu aldiyn alkhatibi, ealayh taeliqat alealaamati: eabd aleaziz aibn eabd alllh bin bazi, alnaashir: dar almaerifat - bayrut, 1379h.

7- alimustadrak ealaa alsahihayni: li'abi eabd allah alhakim muhamad bin eabd allh bin muhamad bin hamduyhi(t: 405hi), tahqiqu: mustafaa eabd alqadir eata, alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut, ta: al'uwlaa, 1411h - 1990m.

1- tahadhib allughati: li'abi mansur al'azhari, (t: 370hi), tahqiqu: muhamad eawad mureib, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, ta: al'uwlaa, 2001m.

2- jamharat allughati: li'abi bakr muhamad bin alhasan bin durayd al'azdi(ti: 321hi), tahqiqu: ramziun munir baelabaki, alnaashir: dar aleilm lilmalayin - bayrut, ta: al'uwlaa, 1987m.

3- alsihah taj allughat wasihah alearabiati: li'abi nasr aljawharii alfarabii (t: 393hu), tahqiqu: 'ahmad eabd alghafur eatar, alnaashir: dar aleilm lilmalayin - bayrut, ta: alraabieat 1407 ha - 1987 mi.
4- eumdat alhifaz fi tafsir 'ashraf al'alfazi: lilsamin alhalbi, shihab aldiyn, 'ahmad bin yusif bin eabd aldaayim (t: 756 ha), tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdu, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, ta: al'uwlaa, 1417 hi - 1996 m .
5- ktab altaerifati: liealiin bin muhamad alsharif aljirjanii (t: 816ha), tahqiqu: jamaeat min aleulama'i, alnaashir: dar alkutub aleilmiat bayrut -lubnan, ta: al'uwlaa 1403h -1983m.
6- ktab aleayni: li'abi eabd alrahman alkhalil bin 'ahmad alfarahidii albasarii (t: 170hi), tahqiqu: d mahdi almakhzumi, d 'iibrahim alsaamaraayiy, alnaashir: dar wamaktabat alhilal.
7- lisan alearbi: limuhamad bin makram bin ealaa, jamal aldiyn aibn manzur (t: 711h),alnaashir: dar sadir - bayrut, ta: althaalithat - 1414 hi.
8- mujmal allughat liaibn fars: 'abi alhusayni, 'ahmad bin faris (t: 395h), dirasat watahqiqu: zuhayr eabd almuhsin sultan, alnaashir: muasasat alrisalat - bayrut, ta: althaaniati, 1406 hi - 1986 mi.
9- almuhkam walmuhit al'aezamu: li'abi alhasan ealii bin 'iismaeil bin sayidih almarsi(ta:458hi), tahqiqu: eabd alhamid hindawi, alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut, ta: al'uwlaa, 1421 hi - 2000 mi.

10- maejam alfuruq allughawiati: li'abi hilal alhasan aleaskarii (t: nahw 395hi), tahqiqa: alshaykh bayt allah biati, wamuasasat alnashr al'iislamiu, alnaashir: muasasat alnashr al'iislamii altaabieat lijamaeat almadarisina, ta: al'uwlaa, 1412hi.

1- 'iihya' eulum aldiyn: li'abi hamid muhamad bin muhamad alghazalii (t: 505h), alnaashir: dar almaerifat - bayrut, bidun:ti.

2- jamie aleulum walhukm fi sharh khamsin hadithan min jawamie alkalm: lizayn aldiyn eabd alrahman bin 'ahmad bin rajab alhanbali (t: 795h), almuhaqiqi: shueayb al'arnawuwt - 'iibrahim bajis, alnaashir: muasasat alrisalat - bayrut, ta: alsaabieati, 1422h - 2001ma.

3- sid alkhatiri: lijamal aldiyn 'abu alfaraj eabd alrahman bin ealii bin muhamad aljawzii (t: 597h), alnaashir: dar alqalam - dimashqa, ta: al'uwlaa, 1425h - 2004m.

4- edat alsaabirin wadhakhirat alshaakirina: limuhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyn abn qiam aljawzia (t: 751h), alnaashir: dar abn kathir, dimashqa, bayrut/maktabat dar altarathi, almadinat almunawarati, almamlakat alearabiat alsueudiati, ta: althaalithati, 1409h-1989m

5- qisas al'anbia'i: li'abi alfida' 'iismaeil bin eumar bn kathir alqurashii albasriu thuma aldimashqii (t: 774hi), tahqiqu: mustafaa eabd alwahid, alnaashir: matbaeat dar altaalif - alqahiratu, ta: al'uwlaa, 1388 hi - 1968 mi.

6- majalat albuhuth al'iislamiati- majalat dawriat tasdur

ean alriyasat aleamat li'iidarat albuhuth aleilmiat wal'iifta' waldaewat al'iirshadi, aleadad althalathwun, al'iisdar: min rabie al'awal 'iilaa jumadaa althaaniat lisanat 1411h.

7- majmue rasayil alhafiz aibn rajab alhanbali: lizayn aldiyn eabd alrahman bin 'ahmad bin rajab alhanbali (t: 795h), almuhaqiqi: 'abu museab taleat bin fuaad alhulwani, alnaashir: alfaruq alhadithat liltibaeat walnashri, ta: ja 1, 2/ althaaniati, 1424 hi - 2003 mi, ju 3/ al'uwlaa, 1424 hi - 2003 mi, ju 4/ al'uwlaa, 1425 hi - 2004m.

8- mdarij alsaalikin bayn manazil 'iiaak naebud wa'iiaak nastaeinu: limuhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyn abn qiam aljawzia (t: 751ha), alnaashir: dar alkitaab alearabii bayrut, ta: althaaniati, 1393h.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة:.	٤٥١
التمهيد:	٤٥٤
أولًا: تعريف الصبر.	٤٥٤
ثانيًا: ألفاظ ذات الصلة به.	٤٥٥
ثالثًا: ألفاظ مضادة له.	٤٥٦
رابعًا: التعريف بسورة يوسف-عليه السلام-	٤٥٧
المبحث الأول:[صور الصبر، وحسن عاقبته كما صورته سورة يوسف-عليه السلام-]:	٤٥٩
المطلب الأول: صبر يعقوب-عليه السلام-	٤٥٩
المطلب الثاني: صبر يوسف-عليه السلام-	٤٧١
المطلب الثالث: حسن عاقبة صبر يعقوب-عليه السلام-	٤٨٢
المطلب الرابع: حسن عاقبة صبر يوسف-عليه السلام-	٤٨٢
المبحث الثاني: [مشاهد لغير الصابرين، وسوء عاقبتهم، كما صورتها سورة يوسف-عليه السلام-] :	٤٨٨
المطلب الأول: مشاهد لغير الصابرين في ضوء سورة يوسف-عليه السلام-	٤٨٨
المطلب الثاني: سوء عاقبة غير الصابرين من خلال سورة يوسف-عليه السلام	٤٩٤
المبحث الثالث:[الأمور المعينة على الصبر، والمصاحبة له كما صورتها سورة يوسف-عليه السلام-]:	٥٠١
المطلب الأول: الأمور المعينة على الصبر	٥٠١
المطلب الثاني: أمور مصاحبة للصبر	٥٠٥
الخاتمة:	٥٠٩
فهرس المصادر والمراجع:	٥١١
فهرس الموضوعات:	٥٣٠